٥٢٨

528

قلوب عبير

دار النحاس

HARLEQUIN

WWW.REWITY.COM

مرموزية

محنة عروس

كاي ثورب

محنة عروس

كاي ثورب

«إنني لست أمير الأحلام، ولم أكنه قط»

ولكن كارين لم تصدق ذلك إلى أن أصبح خاتم الزواج من لوغان بانيستر في اصبعها، لتدرك حينذاك، مقدار ابتعاد زواجهما عن تلك الحكايات الخيالية. هل أحبها لوغان حقاً أم أنها كانت مجرد حل مناسب لكي يحصل على ميراثه؟

«لست مستعدة لمتابعة الحياة الزوجية.»

فقال بابتسامة قاسية: «ان بإمكاني أن اجعلك تعودين إلى رشدك بأسرع وقت ممكن.»

فقالت وقد بدا الغيظ في صوتها: «انك تعلم ما الذي اتحدث عنه. ويمكنك أن تمزح بهذا الشأن كما تريد، ولكنني جادة في كلامي.»

فقال: «من هو الذي يمزح؟» وكان ينظر إليها وكأنه يراها لأول مرة... دون أن يعني هذا أن ما رآه قد أعجبه.

كاي ثورب

ولدت كاي ثورب في شيفيلد سنة ١٩٣٥. وقد جربت وظائف مختلفة بعد تركها للمدرسة. وابتدأت الكتابة كهواية. وعندما قبل الناشرون أول رواية لها، اصبحت هذه الهواية طريقها في الحياة. كان ذلك سنة ١٩٦٨، ومنذ ذلك الحين، بلغ عدد ما كتبته من روايات يفوق الخمسين. وهي تعيش الآن مع زوجها، وابنها وكلب الماني من نوع شيفيرد وهرة سوداء، وذلك في ضاحية من تشستر فيلد في منطقة دربيشاير. من هواياتها القراءة، التجوال في الأرياف، والأسفار.

٥٢٨

خلوب

khouloub Abir 528

محنة عروس

كاي ثورب

دار
مؤسسة النحاس
للطبع و النشر و التوزيع
بيروت - لبنان

www.rewity.com

الفصل الأول

كان البحر بعيداً حالياً إذ لم يكن الجزر ليعود هذا المساء قبل ساعة على الأقل، وعودته تلك ستكون سريعة بطبيعة الحال.

كانت كارين قادمة من المدينة تحمل حذاءها بيدها لكي تشعر بالرمل بين اصابع رجليها. وكانت تعتبر حياتها على الشاطىء نعمة من الحياة، إذ كانت تشعر على الدوام، بالأسف لأولئك الذين لا يرون البحر الا نادراً.

وكعادتها كلما جاءت إلى هذا المكان يومياً في مثل هذا الوقت من اليوم والسنة، كانت الذكريات تتدفق عليها. لم تكن تعرف بالضبط لماذا كانت تواظب على هذا الأمر، ربما لكي تحتفظ بالكراهية حية في قلبها. ففي عامها السادس عشر، لم تكن تعرف معنى الكراهية، حتى علمها ذلك لوغان بانيستر. إذ حتى بعد سنتين مما حدث، كان الألم الذي خلّفه في اعماقها مازال يحدث في حلقها غصة.

ومنعها شرودها في الماضي، من أن ترى أو تسمع اقتراب حصان منها، ولم تنتبه إليه إلا بعد أن كاد يصطدم بها. وعندما أوقفه الفارس الذي يمتطيه امامها، تسمرت في مكانها وهي تنظر إليه غير مصدقة. لا بد ان ما رأته هو مجرد تخيلات.

وأخذت العينان الرماديتان الفولاذيتان تتفحصان تقاطيع وجهها الذي يحيط به شعر اشقر كث، قبل ان تنحدرا إلى قميصها القطني.

قال وهو ينظر وجهها: «مرحباً يا كارين. لقد كبرت.»

فأجابت بصعوبة وهي تتمالك نفسها: «هذا يحدث لنا جميعاً، والبعض ينضج قبل البعض الآخر.»

فقال وقد اشتدت يده على اللجام، ولاحت على شفتيه ابتسامة مختصرة جافة: «واكتسبت أيضاً لساناً حاداً.»

فأجابت: «وقت اللزوم فقط.» ودهشت في نفسها من الطريقة التي كانت تنطق بها. واستطالت بقامتها البالغة مئة وستين سنتمتراً. وهي تضع يديها في جيبي بنطلونها الجينز، ثم سألته: «هل عدت لتمكث في موطنك هنا؟»

فرفع حاجباً قاتم اللون وهو يجيب: «هل هذا مهم بالنسبة إليك؟»

فأجابت: «ليس لأجلي، وانما قد يكون ذلك بالنسبة إلى مارغوت.»

فقال: «لا أظن ذلك. فقد تزوجت مارغوت من دنكان اشلي.»

فقالت: «لأنها صدمت بهربك منها.» وأخذ الحصان يتحرك بقلق وهو يستشعر التوتر في الجو. ولكن يد فارسها القوية الممسكة باللجام، جعله يثبت في مكانه. ومد لوغان بانيستر ساقه ثم اتبعها بالأخرى قافزاً إلى الأرض، شاباً طويل القامة متين البنية يرتدي بنطلون ركوب وقميصاً أبيض. كان عريض المنكبين وقد اكتسبت ذراعاه لوناً اسمر تحت الشعر الأسود الذي يغطيهما. وكان وجهه قد لوحته الشمس هو أيضاً، بملامحه التي تنضح رجولة وفتوة، ورفعت كارين بصرها إليه حيث كان يفوقها طولاً بحوالي العشرين سنتمتراً، لتشعر بأعصابها تعود إلى التوتر من جديد.

قال بلطف: «ثمة شيء يجب أن يكون واضحاً لدينا. وهو أنه لم يحدث قط أن جعلت مارغوت تعتقد ان المستقبل سيضمنا معاً. فإذا كانت هي قد ظنت العكس، فأخشى أنها كانت مخطئة.»

فلمعت عيناها الزرقاوان وهي تجيبه بقولها: «انك تعني أنها انتصار آخر تضيفه إلى انتصاراتك.»

ولمع الغضب في العينين الرماديتين، ليتلاشى بنفس السرعة وهو يقول: «لا ضرورة لأن تذكريني. فقد عشت مع هذه الذكرى طيلة السنتين الماضيتين.»

فقالت بعد أن لم يعد هناك سبيل للسكوت أو المداراة: «اتظن أن هذا لم يكن حالي أنا أيضاً؟ اما كان ممكناً ان اكون حديث الناس في ذلك الحين؟»

فقال: «لو كان حدث ذلك لسمعت به.»

فسألته: «وماذا كنت ستفعل، حينذاك؟ هل كنت تعود لكي تتزوجني؟»

فلوى شفتيه وهو يقول: «كنت سأواجه كل ما كان سيحدث. ولكنني كنت أشك في ما إذا كان الزواج، في ذلك الحين، كان يمكن أن يشكل حلاً معقولاً وذلك في نظر أي كان.»

وتنفست كارين باضطراب. كان يبدو مسيطراً على الموقف، وغير نادم على شيء.

فتمتمت وهي تبتعد عنه مغالبة دموعها: «وغد.»

فهتف وهو يتبعها وقد بدا في عينيه الندم: «انتظري يا كارين. ما كان لي أن اقول هذا.»

فأجابت بصوت أجش: «ولمَ لا؟ هذا صحيح، فقد كنت انا التي تهافت عليك.»

فقال: «ولكن، ما كان لي أن استجيب، كان يجب عليّ، في ذلك الحين، ان اطردك إلى منزلك في تلك الليلة، عند ذلك ما كان لشيء ان يحدث قط. انني أنا السبب.»

فسكتت وهي تحدق فيه، شاعرة بضغط اصابعه الحارة على كتفيها... نفس الأصابع التي كانت تلامسها ذات يوم، بعاطفة. لقد اثارت أشجانها هذه الذكريات. واعترفت لنفسها بذلك، بأسى رغم ان ذلك لم يغير من كراهيتها له شيئاً.

وقالت بلهجة غاضبة: «دعني. لا استطيع احتمال لمساتك.»

فتركها على الفور رافعاً يديه وكأنه يدافع عن نفسه، وهو يقول: «لا بأس، فلن ألمسك. فقط اريدك ان تستمعي لما اقوله.»

فردت عليه بحدة: «ليس ثمة شيء يمكنك ان تقوله. لا شيء اريد ان اسمعه منك، إلا إذا كان ذلك انك ستعود غداً من حيث اتيت.»

وسكت لوغان فترة طويلة وهو يمعن النظر في وجهها، ثم قال أخيراً: «اخشى انه لن يمكنني ذلك.»

فقالت: «إذا لم يكن ذلك غداً، فمتى يكون؟»

مرت ثوان اخرى قبل ان يجيب وقد شردت افكاره: «لقد رجعت إلى موطني نهائياً. أو على الأقل، لفترة طويلة من المستقبل المنظور.»

وشعرت كارين بقلبها يهتز قبل ان يعود فيستقر مرة اخرى. وقالت اخيراً: «كنت اظن ان عندك اعمالاً في الخارج.»

فأجاب: «هذا صحيح، ومازلت. ولكن شريكي سيتابع ادارة مزرعة الخيول في استراليا بينما استلم انا العمل هنا.»

فقالت: «كان علي ان افكر في انك ستفعل ذلك بعد وفاة والدك السنة الماضية. على افتراض انك لم تحرم، في الواقع، من الارث.»

فرفع كتفيه العريضتين: «فلنقل إنه كان ثمة حالة لم اكن مستعداً، في ذلك الحين، لاتمامها.»

فقالت: «وهل بإمكانك الآن؟»

فأجاب: «لا بد من ذلك الآن.» سكت وقد لمعت عيناه اللتان كانتا تتفرسان في وجهها، ثم تابع يقول: «ليس أمام أمي سوى أقل من سنة لتعيش في هذه الحياة. وأنا اريد ان اوفر لها كل ما تريده مهما كلفني ذلك. ولهذا أنا سأمكث هنا لأن هذه هي رغبتها. وأنا آسف إذا كان هذا لا يعجبك، ولكن ليس أمامي أي خيار آخر.»

وعضت كارين شفتها. لم يكن هناك طريقة تعارض بها هذا الأمر. فلوغان قد عاد، وليس عليها سوى ان تحتمل ذلك راضية.

وقالت: «إنني آسفة لأجل أمك. أعني أليس لها علاج؟»

فهز رأسه يجيبها: «لقد حاولنا لذلك بكل امكانياتنا. ان مرضها هو نوع من سرطان الدم. إن بالامكان معالجته لفترة، ولكنه على المدى الطويل، لاشفاء منه. وحالتها الآن من سيىء إلى أسوأ.»

فسألته قائلة: «وهل تعرف هي نوع مرضها؟»

فقال بابتسامة باهتة: «بالطبع، لقد اصرت على معرفة مرضها. انها كانت دوماً امرأة شجاعة.»

كانت كارين تعرف المرأة بالنظر فقط. فقد كان آل بانيستر من بيئة مختلفة، عن بيئتها هي. ولو لم يدعها أخو مارغوت سينكلير الأصغر إلى تلك الحفلة منذ سنتين، لما كانت، على الأغلب، قد قابلت لوغان أيضاً.

وعادت تقول: «انني آسفة. صدقني انني كذلك، فإن من المخيف ان يعرف المرء أنه سيموت.» وترددت وهي تفتش عن طريقة تخلص بها بنفسها من هذا الوضع، بشيء من الكرامة. فاستطردت تقول: «من الأفضل لي ان اعود. ان أمي تتساءل أين عسى أن اكون.» وكان هذا كل ما أمكنها ان تقول.

وسألها لوغان وهي تستدير لتبتعد: «كيف حال والديك؟» فنظرت إليه بنفور وهي تجيب: «انهما بخير.»

فقال: «هذا حسن.» وبدا عليه للحظة، التردد وكأنه يريد ان يقول شيئاً آخر، ثم عاد فهز رأسه وهو يعود فيمتطي صهوة، ثم يلوح لها بيده محيياً، ثم يبتعد.

وقفت كارين تحدق في أثره وهو يعود متمهلاً، من حيث أتى. كانت مشاعرها ما زالت على حالها، فالكراهية لم تكن لتمنع ذلك الانجذاب الذي تشعر به نحوه. فهي ما زالت تذكر وكأنه كان أمس فقط، تلك اللحظة التي اهتزت فيها وهي تنظر في عينيه الرماديتين لأول مرة.

كانت مشاعرها، وهي في السادسة عشرة من عمرها، سريعة التأثر، عديمة التمييز، ما لم يجعل من الخمسة عشر عاماً التي يكبرها بها، أي عائق امامها.

وحيث ان وايت غيتز كانت تبعد عدة اميال، عن الشاطىء وعن بارستون اقرب مدينة اليهم، فان هذا يعني انها قد لا

تراه بعد الآن قبل اسابيع او شهور. ومهما كانت هذه الفكرة مزعجة، فان عليها ان تتعود عليها.

كان منزلها لا يبعد اكثر من عشر دقائق سيراً على الأقدام من الشاطىء، وكان قائماً في ضاحية كانت ذات يوم، قرية مستقلة بذاتها، حتى دفع الرخاء مدينة بارستون إلى ان تمتد لتلتف حولها. وكان الوقت هو اواخر شهر ايار (مايو) وأوائل شهر حزيران (يونيو) كان ذا جو بالغ الرطوبة مما لا يشجع ابداً على قضاء العطلات التي تعتمد المدينة عليها من رخائها. وكانت هذه احدى المدن الانكليزية الساحلية القليلة التي مازالت طبيعية لم تفسدها الحضارة، ولكن ذلك النقص في تقدمها الحضاري جعل لحالة الجو تأثيراً حيوياً على رخائها.

كان المنزل ملكاً لأسرة غريغوري حوالي ثلاثة اجيال. وكان منعزلاً عن غيره من المنازل، ومبنياً بطراز الأكواخ التي تتألق مع المناظر الطبيعية العامة لمنطقة نورفولك. وفي هذه الأيام التي ضعفت فيها الامكانيات المادية، ضعفت الصيانة له نوعاً ما، ما جعله يبدو بحالة شبه مزرية من جراء تساقط دهانه. ولم يكن والد كارين من الذين يحسنون القيام بالعمل بأنفسهم. وكان هو يعرف ذلك، فكان يفضل ان يستأجر عاملاً ليقوم بالعمل عندما يكون بامكانه ان يدفع الأجر. وكانت كارين قد تطوعت للقيام بمثل تلك الأعمال، ولكنه لم يستمع إليها. فقد كان يقول دوماً ان ليس عنده بنات يتسلقن السلالم ليعملوا لأجله.

وفي داخل المنزل، توجهت كارين نحو المطبخ تسوقها إلى ذلك رائحة الخبز الطازج التي كانت تنبعث منه،

وابتسمت للمرأة التي كانت تغسل الأطباق في الحوض، وهي تقول لها: «ما اشهى هذه الرائحة يا أماه. ومن حسن حظي أن لدي أماً قديمة الطراز.»

وضحكت سوزان الأم وهي تدفع إلى الخلف خصلة من شعرها، بيدها المغمورة بالصابون، وهي تجيبها قائلة: «إذا كان حب القيام بصنع الخبز يجعلني قديمة الطراز، فأنا هكذا إذن. وبعد، ماذا يضرك لو تعلمت ذلك أنت أيضاً؟»

فأجابت كارين: «ان يديّ لن تكونا ابداً بخفة يديك. فقد تمرنتا على الضرب على الآلة الكاتبة. وبعد، ربما يتقدم ذات يوم تايلور أو سيمرسون فيدخل العصر العشرين، وذلك بتصنيع الخبز آلياً، وفي هذا ما يجعل الحياة اكثر سهولة.»

فسألتها أمها: «ولماذا لا تتقدمين بهذا الاقتراح؟»

فهزت كارين كتفيها وهي تجيب: «لقد فعلت، ولكن كلماتي سقطت في آذان صماء، إذ كان جواب السيد تايلور بالضبط، نحن لسنا بحاجة إلى ذلك مادام في استطاعتهم دوماً ان يجدوا شخصاً احمق يقوم بهذا العمل كما هو الآن.»

فقالت الأم وقد بدا في لهجتها نوع من عدم الرضى: «انهم يدفعون لك اجراً حسناً، ولا أظنك تفكرين في البحث عن وظيفة أخرى، أليس كذلك؟»

وكان الآن دور كارين في الضحك وهي تجيب قائلة: «في مدينة بارستون؟ انني سأكون محظوظة لو وجدت وظيفة غير موسمية. ان فكرة الانتقال إلى مكان آخر للعمل، لا تراودني حالياً.»

فقالت الأم: «لو كنت قد اجتهدت في دراستك كما كان الجميع يتوقع منك، وبقيت لكي تنالي شهادتك العليا،

لوجدت امامك مجالاً افضل للعمل. انني لم استطع ان افهم قط السبب في حصولك على مثل تلك العلامات السيئة في اكثر مواضيع دراستك.»

فأجابت كارين بمرح لم تكن تشعر به في الحقيقة: «أظن السبب هو الشعور بالرهبة اثناء الامتحان. على كل حال، فقد نجحت في الكلية المهنية رغم ان فرص العمل في هذه الأنحاء هي محدودة نوعاً ما.» واستدارت تحمل ابريق الشاي وهي تقول مغيرة الموضوع: «سوف أحضر الشاي، فان أبي دوماً على استعدادا لتناول الشاي في هذا الوقت.»

كان والدها جالساً يقرأ في صحيفته المسائية عندما دخلت عليه بصينية الشاي، فسألها وهو يتناول منها الفنجان الذي قدمته إليه: «هل ستخرجين هذه الليلة؟»

فأجابت: «ولكنني كنت في الخارج الآن.»

فهز رأسه قائلاً: «كنت على الشاطىء؟ ليست هذه هي الطريقة التي يمضي بها الانسان مساء السبت. على الأقل لم يكن هذا هو المألوف في أيام شبابنا، انك تمضين اوقاتاً كثيرة بمفردك يا كارين. ان فتاة جميلة مثلك لا يمكن ان تبقى دون صديقة.»

فقالت وهي تتعمد المرح في لهجتها: «ان هذا لا يهمني بشكل خاص. فلا تقلق لهذا الشأن، يا أبي. انني أحب ان ابقى بمفردي. على كل حال، فان صديقتي جين ستعود من اجازتها الأسبوع القادم. ولهذا لن تمتد وحدتي هذه طويلاً. إلا إذا نوت هي ان تكون علاقتها مع روي جيلينغهام جادة بالطبع.»

فقال الأب: «انها اصغر سناً من ان تكون جادة بالنسبة

لأي شخص، وكذلك روي جيلينغهام، هذا إذا اردت رأيي. لقد كنا، انا وأمك نحن الاثنين، في منتصف العشرينات عندما تزوجنا. وهذا هو السبب في دوام التفاهم بيننا. ليس بامكان المراهقين ان يدركوا تماماً ماذا يريدون.»

فتمتمت كارين وهي تحاول مقاومة فيض الذكريات: «هذا صحيح. اظنني سأذهب إلى الفراش مبكرة، وسوف اطالع قليلاً. لقد قالت أمي انها ستأتي في خلال دقيقة واحدة.»

كانت منذ عدة اسابيع، قد اعادت تجديد وزخرفة الستائر والأغطية في غرفتها بالألوان الخضراء والبيضاء بلمسات من اللون الوردي، بعد ان لم يعد منظرها يرضيها. واستلقت على ظهرها في سريرها وهي تحدّق في السقف. وشعرت بالضيق والقلق. ان مسيرة ايام حياتها المتتابعة هذه، لا بد ان تكون اكثر حيوية مما هي عليه الآن، وربما الوقت قد حان لكي تنتقل من مدينة بارستون هذه. ليس لمدينة نورويتش كذلك وانما لمنطقة ابعد. ان هناك عالماً عليها ان تكتشفه.

وكانت رؤيتها للوغان مرة اخرى، قد اعادت هذه الفكرة إلى رأسها. واغمضت عينيها لكي تتصوره بالتفصيل. وكانت الذكرى مؤلمة، ولكنها لم تستطع ان تمنع نفسها من ذلك.

قالت مارغوت سينكلير باسمة: «وهذا هو الصديق الصغير لميشيل، يا كارين.»

ومد لوغان بانيستر يده، بابتسامة بطيئة، وهو يقول: «مرحباً يا كارين.»

فأجابت بصوت بدا لها شاذاً: «مرحباً.» وتمنت ان لا يكون قد بدا على وجهها تأثير الدفء الذي شعرت به من ملامسة يده. ولم يكن من عادتها الاحمرار خجلاً، كما انه لم يكن من عادتها الوقوع في الحب من أول نظرة، كان لوغان ذا جاذبية قاهرة. ولم يكن ثمة وصف آخر له. ربما لم يكن وسيماً بالشكل الذي يبدو به نجوم الافلام، ولكنه كان بشكل ما اكثر استثارة للاهتمام.

كانت الأصابع التي اطبقت على يدها طويلة متوترة، تنبىء عن طاقة غير عادية. ودون ان تنظر إليه مباشرة، لاحظت بياض قميصه إزاء سمرة ذراعيه، ولمعان الساعة الذهبية التي يحيط بها معصمه، وعندما سحبت يدها من يده، شعرت بفراغ كبير.

وسألها: «هل انت ايضاً في الجامعة؟»

فضحكت مارغوت وهي تجيبه بنفسها قائلة: «لا اظن ذلك، يا عزيزي. ان كارين مازالت في المدرسة. اظنك ستتقدمين لامتحان الثانوية العامة، أليس كذلك يا كارين؟»

فأجابت هذه: «الشهر القادم.» وقالت هذا كارهة، ذلك انها كانت تتمنى لو كان بإمكانها ان تزيد عمرها سنتين في عيني هذا الرجل.

فقال ميشيل سنكلير بلهجة عفوية: «وطبعاً ستجتازين الامتحان في كل المواد، أليس كذلك يا عزيزتي؟»

فتمتمت: «ارجو ذلك.»

فقال لوغان باسماً: «ارجو لك حظاً سعيداً.» وعادت ابتسامته تأخذ بلبّها من جديد.

وعندما ابتعد مع مارغوت سألت هي ميشيل بلهجة جعلتها

تبدو عفوية: «هل هناك خطبة او ما اشبه بينه وبين اختك؟»

فأجاب: «لم يحدث شيء بعد، رغم انني متأكد من رغبة مارغوت في هذا، وعادة هي تحصل على ما تريد.»

ولم تشك كارين في هذا. ففتاة سمراء جميلة مليئة بالحيوية مثل مارغوت سينكلير ربما بإمكانها ان تنال اي رجل تريده. ولا بد ان يكون لوغان في حوالي الثلاثين من عمره ما يجعله لائقاً بها. وكان لآل بانيستر مزرعة خيول على بعد عدة اميال من الساحل، ويقال انهم في غاية الثراء. وكان هذا يبدو تماماً على لوغان. ذلك ان بذلته ذات اللون الرمادي الباهت كانت تبدو، حتى لعينيها غير الخبيرتين، غالية الثمن، رائعة التفصيل.

كانت قد رأته طبعاً، من قبل... ولكن من بعيد فقط عندما كان يمر على الشاطىء ممتطياً حصانه كعادته كل مساء. ولما كانت قد قابلته الآن. لم يبق هناك سبب يمنعها من أن تلوّح له بيدها كلما رأته، بعد الآن. وقد يخطر له ان يتوقف احياناً ليتحدث إليها بأي موضوع كان، فهذا لا يهم مادامت ستكون واقفة بقربه.

كان ميشيل، شقيق مارغوت فتى في التاسعة عشر من عمره، ناضجاً انيقاً وفي سنته الأولى في الجامعة. وقد سرها اهتمامه بها منذ شهر أثناء حفلة فصل الربيع الراقصة ولم تنفر من فكرة رؤيته اثناء العطل الاسبوعية، منذ ذلك الحين، ولكن لم يكن ثمة شعور عاطفي من ناحيتها تجاهه.

وفي المساء التالي، حوالي السادسة والنصف، كانت هي على الشاطىء. وخفق قلبها وهي تراه قادماً. وعندما رآها

جذب لجام حصانه على الفور، وهو يبتسم لها بسرور ظاهر. وقال: «كنت اراك هنا في اكثر الأمسيات ولكني لم اكن ادرك انك حبيبة ميشيل.»

فأجابت: «ولكنني لست حبيبته. اننا مجرد صديقين.» ورأته يرفع حاجبيه لدى سماعه جوابها هذا، ثم يقول وهو يعاود السير رافعاً يده يحييها: «طبعاً، في عمرك هذا، هل ممكن ان يكون هناك غير الصداقة؟ إلى اللقاء.»

كانت هذه هي البداية. وبعد ذلك، لم يكن يتوقف ليحدثها فقط، بل كان ينزل عن الحصان ليتمشيا معاً وهما يتحدثان عن كل ما يخطر ببالهما. وقد عاشت كارين لهذه اللحظات كما كانت تنتظرها كل يوم. وبعكس والديها، كان لوغان يعاملها وكأنها امرأة ناضجة. كانت تشعر معه بأنها ناضجة تماماً. وكانت المشاعر التي أثارها في نفسها تختلف كثيراً عن مشاعر المراهقات.

وتبدد من نفسها الشك في أنه يبادلها مشاعرها هذه، وذلك امام نظراته الخاصة إليها ونبرات صوته وهو يحدثها. وقد تحصل مارغوت سينكلير على نظراته هذه، ولكن هل استطاعت ان تستحوذ على اهتمامه كما استطاعت هي بحديثها الذي يتناول مختلف شؤون الأدب والفن؟ هل بإمكانها ان تجعله يضحك لتعليقاتها كما تفعل كارين غريغوري الصغيرة؟

ومن تأثير لوغان، وجدت نفسها تقرأ قصة روميو وجولييت، التي كانت من مواد امتحان الثانوية العامة، بشعور جديد لم تعرفه من قبل. ولكنها وجدت في قصة انطونيو وكليوباترا ما ايقظ مشاعرها. فقد كان فيها

المرأة التي لم يعرف حبها لرجلها قيوداً. إمرأة لم تخجل من الاعلان عن حبها بالقول والفعل... امرأة لم تقبل برجل غير انطونيو.

وبالنسبة إلى كارين، لن يكون لها رجل سوى لوغان. وكانت تعلم ان هذا امر واقع.

وكانت نتيجة شرود ذهنها بين السحاب، على الدوام، ان جاءت نتيجة امتحان الثانوية العامة كارثة بالنسبة إليها. فعدا عن الأدب الانكليزي كانت تشك في امكانها الحصول على درجة قبول للمواد الباقية. ولكن مازال ثمة وقت طويل لكي تظهر النتيجة النهائية. أما حالياً، فقد كان أمامها شيء اكثر اهمية وهو ان تعلم قبل كل شيء ماهية شعور لوغان نحوها.

كانت في العادة تسير على الشاطىء لمقابلته. ولكنها في هذه الأمسية خاصة، جلست وانتظرته ان يسير هو إليها. وكان قلبها يخفق وهي تفكر في ما ستقوله له.

وعندما وصل ممتطياً حصانه، وقف ينظر إليها بعينين كانتا تحويان من المعاني ما اخبرها بأنها لم تكن مخطئة.

وقالت له: «أود ان امتطي صهوة الحصان معك.» فضحك وهو يساعدها على الجلوس أمامه.

لم تكن قد امتطت صهوة جواد قط في حياتها من قبل. وشعرت بالفرح وهي ترتفع فوق الرمال وبقي هو يسير بالحصان بهدوء، فيما هي تنظر حولها وقد تملكتها السعادة لأنها قريبة منه.

أحس لوغان بسعادتها وعرف السبب، فقال لها: «اظن من الأفضل ان انزلك إلى الأرض.»

وأوقف الحصان، ثم نزل عنه ومد يديه ليساعدها على الترجل وقد ساد العبوس ملامحه وهو يقول: «هيا انزلي.»

وانزلقت كارين وهي تقول متوسلة: «لا تتركني يالوغان، فأنا احبك.»

وكان جسده بأكمله يهتز من اعترافها وهو يعود فيقول: «انك لا تدرين ما تقولين. حتى انك لا تعرفين ما هو الحب.»

فأجابت: «بل أنا ادري. انه ما اشعر به نحوك.» كانت تحاول مستميتة، ان تقنعه بذلك. ورفعت وجهها إليه تنظر في عينيه الرماديتين لترى نفس نظراته السابقة قد عادت تحتل، ببطء مكان العبوس.

سألته بتردد وهي مازالت لم تدرك تماماً سبب هذا التغير المفاجيء فيه، سألته قائلة: «ماذا جرى؟»

استدار لوغان ينظر إليها، وقد بدا مسيطراً على اعصابه تماماً وهو يقول بخشونة: «ما كان لهذا الأمر ان يحدث ابداً. انني لا أجد لنفسي اي عذر لذلك، لأنه لا يوجد فعلاً، عذر لما فعلت. فأنت مازلت طفلة، يا كارين.»

فأجابت: «انني لست طفلة.» كانت تتوق إلى ان تقنعه بهذا. يدفعها إلى ذلك عواطفها الثائرة. وتابعت تقول: «انني احبك يا لوغان.»

فقال: «انك لست امرأة، كما انك لا تحبينني.» وكان اعلانه ذاك لها قاطعاً باتاً، وتابع يقول: «ربما هو افتتان الصبا المشبوب، والذي سرعان ما يمر. ان ما حدث الآن...» وسكت وهو يعض شفته...

فقالت محتجة: «انه ليس افتتان الصبا. أتظنين لا اعرف الفرق؟ انني احبك يا لوغان، واريد ان نبقى معاً على الدوام.»

فقال وهو يصر بأسنانه: «ذلك غير ممكن. مازلت انت في المدرسة، هذا أولاً.»

فقالت: «بإمكاني ان اترك المدرسة، فأنا اكرهها على كل حال.»

فرد عليها قائلاً: «كلا. انك لن تفعلي هذا. انك ستستمرين في الدراسة لتنالي شهادتك الثانوية، وربما تذهبين بعد ذلك إلى الجامعة. وقد تقعين في الغرام اكثر من مرة قبل ان تجدي الرجل الذي تريدين حقاً ان تمضي حياتك معه.»

فقالت مصرة، رافضة ان تتحول عما تظنه حقيقة: «ولكنني وجدته الآن. انني اريدك انت فقط ولن يكون هناك شخص غيرك ابداً.»

فأطبق فكه بعنف وهو يقول: «ولكنني لا اريدك. لا اريدك بعد الآن ابداً. وأنا آسف حقاً من الذي حصل الآن، ولكن هذا لا يغير شيئاً من الواقع. ان امامك حياتك كلها وسرعان ما ستنسينني.»

فقالت: «كلا. انني لن انساك.» انها مازالت لا تستطيع ان تصدق ما يقوله لها. ان عليه ان يحبها.

وعندما تأهب للسير، تمسكت بذراعه محاولة ان تمنعه بكل قوتها وهي تقول: «لا يمكنك ان ترحل هكذا انني لن ادعك تذهب.»

وبملامح جامدة وعينين كالفولاذ، ابعد اصابعها عن كمه ونهض واقفاً، تاركاً اياها جالسة على الرمال وقد هبط عليها الادراك اخيراً كسحابة ثقيلة سوداء.

وقال: «عليّ ان اذهب، فليس امامي اي خيار آخر. وانت لن ترينني بعد الآن، الا إذا...»

وسكت وقد توتر فكه، ثم استدار فجأة وسار متجهاً إلى حيث حصانه كان ينتظر بصبر.

وشعرت كارين بالتخدر في جسدها وهي تنظر إليه يمتطي صهوة حصانه ثم يبتعد دون ان يلقي بنظرة إلى الخلف. وعندما تحول الفارس والحصان إلى مجرد نقطة سوداء في الأفق، عند ذلك، وجدت كارين القوة لتحرك اعضاءها.

تملكها شعور بالغثيان والتعاسة واليأس. ان لوغان لا يحبها، وهو لم يحبها قط. كل ذلك كان مجرد تصورات من مخيلتها.

وبعد ذلك بثلاثة أيام فقط، سمعت بسفر لوغان المفاجيء إلى اوستراليا. وهي الثلاثة ايام التي لم تذهب فيها إلى الشاطيء. فقد تحولت مشاعرها من الحب إلى كراهية بلغ من عنفها ان لونت كل لحظة من حياتها.

انها مازالت على كرهها له فيما لو حاول ان يقترب منها مرة اخرى... وعاهدت كارين نفسها على هذا وهي تعود إلى حاضرها الآن. ولكن كيف؟ لم تكن متأكدة لا يمكنها ان تذهب إلى امه التي تموت لتخبرها اي حشرة هو ابنها.

ان ما عليها ان تفعله الآن، هو ان ترمي المسألة كلها خلف ظهرها، ومن ثم تتابع حياتها. ذلك ان لوغان بانيستر لم يكن ليستحق ان تأرق لأجله ليلة واحدة.

الفصل الثاني

كان نهار الأحد طويلاً وهادئاً. واستغلت كارين فرصة استمرار الجو الجيد لكي تذهب بعد الظهر للتمشي في المدينة.

كانت الشمس قد أغوت ذوي الاجازات بالقدوم لتوخي المتعة، ولأول مرة، منذ اسابيع، بدا الشاطىء حافلاً بالحياة والحركة. وبعض ذوي الاحتمال غامروا بالنزول الى البحر، متحدين درجة برودة المياه التي جعلت كارين ترتجف حتى التفكير فيها، فهي لم تحاول قط السباحة قبل شهر آب (أغسطس) حتى في أحسن الأحوال جواً.

وعند الساعة الرابعة، ابتدأت طريق العودة الى البيت والتي تبلغ حوالي الميلين طولاً، دون ان تفكر في اقتراب مغيب الشمس. واعترفت بكآبة في ان اباها كان محقاً، بطبيعة الحال، فهي تمضي اوقاتاً طويلة بمفردها. ولكن المشكلة هي في ان تجد ذلك الشخص الذي ترغب في قضاء اوقاتها معه.

وعدا عن جين، فهي لم تجد من يشاركها ميولها، من الذين يبدو انهم يمضون اكثر اوقاتهم، اما في زيارة الأماكن العامة، واما يذهبون الى قاعات الموسيقى حيث تطغى الموسيقى الصاخبة على كل محاولة للحديث، ما عدا السينما أو مشاهدة مسرحية في مسرح مدينة نورويتش. وهذا كان كل شيء.

ولكن الأمر كان مختلفاً عندما ابتدأت، منذ اسابيع قليلة، تخرج بصحبة ميشيل سينكلير، فقد عرفها الى عالم آخر. لقد كانت رفضت رؤيته مرة اخرى بعد سفر لوغان، ولم يكن لديها اية فكرة عن المكان الذي كان فيه ذلك الحين، ولكن ذلك لم يكن ليهمها على أية حال.

وعندما وصلت الى مفترق الطرق في ضاحية المدينة، استغلت فرصة توقف السير لتوفر على نفسها عناء انتظار شارة المرور الخضراء. وسرعان ما ادركت خطأها وهي تسمع صوتاً مفاجئاً لسيارة قريبة ظهرت من مكان ما.

وفي سرعتها لاجتياز الشارع، تعثرت في المنعطف وكادت تقع على الأرض، وقد اصطدمت ركبتها بحافة حجر بقوة جعلتها تنحني قليلاً، وهي تسمع، بذهن غائب، صوت باب سيارة يغلق بقوة، ثم بيدين تحت ابطيها ترفعانها لتقف على قدميها.

وقالت وهي تشيح بوجهها متجاهلة الألم في ركبتها:

«أشكرك. كانت تلك حماقة مني...»

وتلاشى صوتها في حلقها وهي تستدير لتلقي نظرة على منقذها، ومات الاعتذار على شفتيها.

أجاب لوغان باختصار: «نعم، لقد كان الأمر كذلك. لقد تسببت لنفسك بصدمة مؤلمة. كيف تشعرين الآن؟»

فأجابت تطمئنه: «لا اهمية لذلك، انني بخير.»

رد عليها قائلاً: «هذا مؤكد، انما من الأفضل ان تصعدي الى السيارة لأوصلك الى منزلك.»

فقالت بحدة: «قلت لك انني بخير، ان طريقي ليس بعيداً على كل حال.»

فسألها قائلاً بشك: «المكان هو سانت البانز. اليس كذلك؟ انه طريقنا على كل حال.»

ولأول مرة، تنتبه كارين الى تلك المرأة التي كانت تحتل المقعد الأمامي للسيارة المرسيدس الزرقاء الفضية. كانت داكنة الشعر مثل ابنها، وكانت هيلين بانيستر معروفة جيداً بالاسم في تلك المنطقة، وان لم تكن على علاقة حميمة بالناس عموماً. كانت تراقب المنظر الذي يدور امامها، وقد بدا الفضول على وجهها الذي كانت علائم المرض تبدو عليه في شحوب وجهها ووجنتيها الغائرتين.

ونادتها قائلة من خلال النافذة المفتوحة: «أرى من الأفضل ان تفعلي حسب رأي لوغان.»

انهى لوغان الأمر بأن قبض على ذراع كارين يقودها إلى السيارة، ما وجدت نفسها معه دون أي خيار. ولما لم تكن تريد ان تعظم من الأمر، صعدت الى المقعد الخلفي عندما فتح بابه لها.

وقال لها: «ضعي الحزام، ربما لن يستغرق سيرنا اكثر من دقائق قليلة، ولكن الأفضل ان تكوني في أمان، من أن تشعري بالندم.»

كان جلوسها وراء لوغان مباشرة، وهو يتحرك بالسيارة، وكانت اقرب اليه من ان تشعر بالراحة. لا شيء قد تغير بالنسبة إلى مشاعرها. كل شيء يتعلق به قد أثار الألم في نفسها.

وتحولت الأم بنصف استدارة اليها، تمنحها ابتسامة متحفظة، وهي تقول: «يا له من نهار جميل للتمشي بعد كل ذلك المطر.»

فأجابت كارين: «نعم، هذا صحيح.» وسكتت اذ لم تجد شيئاً تضيفه إلى ما حدث، مذكرة نفسها بأن لا ذنب للسيدة بانيستر في ما حدث. فهذه المرأة لا تملك اية فكرة عما هناك بين ابنها وهذه الغريبة التي التقطها من جانب الطريق، فهو، حسب ظنها، كان فقط يقوم بدور رجل شهم.

وتابعت السيدة تقول: «لا بد انك تشعرين بألم نتيجة اصطدام ركبتك بذلك الحجر. فالركب هي دائماً اسوأ مكان للاصابات.»

اغتصبت كارين ابتسامة وهي ترد قائلة: «انه حقيقة، لا يؤلمني كثيراً.» وكانت كاذبة في هذا، ثم استطردت: «ولكنه كان ذنبي انا على كل حال. كان علي ان انتظر الضوء الأخضر.»

لم يعلق لوغان على الحديث، ولكنها احست بنظراته تنصب عليها من مرآة السائق، متصورة التعبير الساخر فيهما. وكانوا قد اقتربوا من التحول عن الطريق الرئيسي، وانحرف دون تردد، ليستدير حول المنعطف التالي الذي يقود الى سانت البانز ليقف امام منزل آل غريغوري بعد ذلك.

وقال: «ها أنت ذي آمنة، وان لم تكوني بخير تماماً. عليك ان تعرضي ركبتك على الطبيب فقد يكون العظم اصابه شرخ.»

فأجابت وهي ترجو ان لا يكون ثمة من ينظر من نافذة المنزل فيراها: «سأفعل. واشكرك كثيراً لتوصيلك لي إلى المنزل.»

فقال عندما مدت يدها إلى مقبض الباب لتفتحه:

«سأساعدك على الترجل، على الأقل يمكن لركبتك ان تكون قد تصلبت نوعاً ما.»

وكان محقاً في ذلك كما اكتشفت وهي تكتم صيحة ألم كادت تنطلق من بين شفتيها عندما حركت ساقها، قد لا يكون اصاب عظم الركبة شرخ، ولكنه لا بد قد اصيب برضة عنيفة.

ومن حسن الحظ أن الوصول إلى مكان عملها غداً لن يتطلب سيراً طويلاً.

فتح لها لوغان الباب، ثم مد يده لها. أمسكت بيده مكرهة، لتعود فتتركها حالما اصبحت خارج السيارة واقفة على المنعطف. وادارت رأسها الى المرأة الأخرى في السيارة تبتسم لها محيية، وهي تقول: «وداعاً، واشكرك انت ايضاً.»

أومأت السيدة بانيستر ترد التحية، ولكنها لم تتكلم، وبدا عليها، كما تراءى لكارين، انها لا تعرف ماذا تقول.

لم يحاول لوغان ان يلمسها مرة اخرى. وبدا، في جاكتته الجلدية الناعمة الفاتحة اللون، وكنزته ذات الياقة العالية من الوجهاء ذوي الأملاك. ولكنها ما لبثت ان ذكرت نفسها بأن كل هذا ما هو إلا مظاهر سطحية فارغة لأن في اعماقه تكمن القذارة.

وقال لها بصوت منخفض انما مستعجل: «انني بحاجة للتحدث إليك.»

توترت أعصابها، وتصلب جسدها وهي تجيبه بصوت مرتجف: «لا أظن انه يوجد بيننا ما نتحدث عنه.»

فقال: «بل يوجد.»

وسكت لحظة ثم اضاف: «لا أظنك تريدينني ان أحضر إلى منزلك.»

فرفعت رأسها ثم قالت بحدة: «كلا.»

فقال: «إذن، قابليني هذه الليلة على الشاطىء، الساعة السابعة في نفس المكان.»

وقبل ان تجيب بنعم او لا، كان هو قد ذهب.

وتحركت السيارة لتعود من الطريق الذي جاءت منه، ورفعت السيدة بانيستر يدها لكارين بالتحية.

أخذت كارين تفكر، وهي تنظر في أثر السيارة، بما يريد لوغان ان يقوله لها مما لم يسبق وقيل الليلة الماضية. انها لا تريد ان تسمع منه شيئاً، مهما كان الأمر، وهكذا يمكنه ان ينتظر عبثاً.

ولكن، من ناحية اخرى، فقد ينفذ تهديده ويأتي الى منزلها اذا هي لم توافه الى حيث اراد. فكيف لها ان تفسر الأمر لوالديها؟ وهكذا لم يكن امامها من خيار سوى ان تذهب، دون اعتبار لشعورها تجاه ذلك. وقد تأكد هو من ذلك.

شعرت بشيء من الارتياح عندما لم ينتبه احد في المنزل إلى وصولها. وكان الألم ما يزال في ركبتها، وكما سبق وانذرها لوغان، فقد تصلبت ركبتها، ولكنها استطاعت ان لا تظهر عرجها وهي صاعدة الى غرفتها.

كانت الاصابة مجرد رضّة سيئة، وربما كان حكمها هذا مستعجلاً. إذ من الممكن ان يتحول لونها إلى أزرق حتى صباح الغد. وهكذا لم يكن بامكانها ارتداء تنورة. ومن حسن الحظ ان الطراز الحديث للملابس لم يكن يختص بطول معين للثوب.

تناولوا الطعام الساعة السادسة كالعادة في أيام الآحاد،

حيث استمر العشاء الى الساعة السابعة الا ربعاً. وكانت كارين ماتزال مترددة بين الذهاب إلى موعدها مع لوغان او عدمه، واخيراً صممت على الذهاب من باب الفضول فقط، او هذا ما اقنعت به نفسها.

لم يعلق احد على ما اعلنته من أنها ستخرج للتمشي مرة اخرى. فقد كانت والدتها أمام التلفزيون تتابع البرنامج الكوميدي المفضل لديها، بينما كان والدها مايزال يطالع في صحيفة يوم الأحد الأسبوعية. فقد كان الاثنان مستقرين في سنهما الناضج المريح. ورأت كارين ان لا شيء غير عادي في ذلك، مع ان هذه الليلة تشير الى حدوث كل ما لا تحب لنفسها. فالحياة جميلة، وقد حان الوقت لكي تفكر بجدية في تغيير نمط حياتها.

وفي نفس الساعة، كانت هي في المكان المعين، لتجد الشاطىء خالياً من كل مخلوق ماعدا طيور النورس. وفي الساعة السابعة وعشر دقائق، ابتدأت تفكر في أن الأمر لم يكن سوى مزحة كريهة من لوغان، مع انها لم تستطع ان تتخيل ما عسى ان تكون مصلحته من وراء ذلك. وكانت على وشك العودة الى منزلها، عندما رأت الحصان والفارس يقتربان منها.

كان لوغان يركض بالحصان مسرعاً، ثم وقف بعيداً عنها ليجنبها الغبار الذي تثيره حوافر الحصان لحظة وقوفه.

قال وهو يترجل عن الحصان: «شكراً لانتظارك. لقد تلقيت اتصالاً هاتفياً من استراليا.»

بقيت كارين جالسة مكانها على الرمال، وهو يقترب

منها، وقالت بجمود: «لقد جئت فقط لأنك جعلت الأمر غير قابل للرفض، وليس لأنني اريد أن احضر الى هنا. والآن، تكلم وقل ما تريد.»

فأخذ يتأملها بصمت لحظة طويلة، وعندما تكلم كان صوته غريباً وهو يقول: «اريد أن أعلم ما هو شعورك نحوي الآن، يا كارين.»

جف حلقها لهذا السؤال، فحدقت فيه بعينين قاتمتين، وهي تقاوم رغبة قاهرة في أن تقفز عليه وتنشب اظافرها في وجهه الهضيم هذا.

وأخيراً، نطقت بجهد قائلة: «وكيف تتوقع ان يكون شعوري؟»

فارتسمت على شفتيه ابتسامة ملتوية وهو يجيبها قائلاً: «ان الذي اتوقعه، والذي ارجوه، هما شيئان مختلفان.»

وبدا صوتها وكأنه آت من مكان بعيد، وهي تسأله بقولها: «وما الذي ترجوه؟»

فأجاب: «ان تكوني جاهزة للزواج مني.»

ودار رأسها. لا يمكن ان يكون ما قاله حقيقة. انه يسخر منها دون شك.

وعاد يقول بلهجة جافة: «لا تبدي مصعوقة هكذا، ان الجواب عن سؤالي بسيط جداً، نعم او لا.»

فقالت وهي تتنفس مرتجفة: «كلا... لا ادري اي لعبة تظن نفسك تقوم بها، ولكنك لن تقوم بها نحوي.»

بدا في وجهه التصميم، وهو يقول: «انها ليست لعبة. صدقيني انني بحاجة اليك يا كارين.»

انه، اذن يذكر الحاجة، دون الحب... ولكن الصدمة ما زالت اكبر من ان تجعلها تركز على هذا الفارق.

واستطاعت ان تقول: «انني لا أفهم، لماذا الآن؟»

ولوى شفتيه وهو يجيب: «لأنك الآن في الثامنة عشرة، وليس السادسة عشرة. وهذا يكفي لكي تعرفي ما تفعلين.»

فحملقت فيه بعينيها الواسعتين الداكنتين، بصمت وهي تعمل عقلها في ما يمكن أن يتضمنه اعلانه لها هذا. وعندما استطاعت ان تتكلم اخيراً، كان صوتها منخفضاً اجش وهي تقول: «هل تريد أن تخبرني انك كنت تشعر بنفس الشيء منذ سنتين؟»

فسألها قائلاً: «ولماذا تظنينني اذن، قد رحلت بعيداً. لقد كنت في السادسة عشرة، وأنا في الحادية والثلاثين، وكنت اشك في ان والديك كانا سيوافقان على زواجك مني مهما كانت الظروف.»

كان كلامه هذا صحيحاً، وكانت كارين تعلم هذا. ذلك أن معرفة والديها، في ذلك الحين، بما حدث بينهما، كان سيدمرهما حتماً، وما كانا ليسمحا لهما بالزواج وهي في سن السادسة عشر. وتفرست في ملامحه الصارمة شاعرة باليأس، وقد استولى على قلبها وعقلها الاضطراب الشديد. وفي هذه اللحظة بالذات، لم تستطع ان تدرك تماماً كنه مشاعرها نحوه، او نحو اي شيء آخر. فقد كانت الأشياء اكبر من أن تستوعبها.

وتمتم لوغان: «مازلت يا كارين، كما كنت، جمالاً ودفئاً، كنت احلم بحبك مرة اخرى، ولكنه لن يكون، هذه المرة، كما حدث سابقاً، فإن امامنا الكثير لنقوله.»

وعادت كارين للجلوس على الرمال وقد استبدت بها المشاعر المضطربة.

وقال: «قبل ان نسترسل في الأمر، اريدك ان تعلمي ان امي تعرف القصة كاملة، وذلك منذ البداية. فكانت تراقبك على الدوام لأجلي. إن رحيلي، في ذلك الوقت، كان هو الأفضل بالنسبة الينا نحن الاثنين.»

فسألته كارين: «هل هي تعلم عن رغبتك بالزواج مني... الآن؟»

فأجاب: «نعم.»

فعادت تسأله: «وهل هي موافقة؟»

فقال: «نعم.» وتردد برهة قبل ان يتابع قوله: «انها السبب الأساسي الذي يجعلني لا امضي وقتاً طويلاً في اعادة بناء علاقتنا قبل الزواج. فإن امنيتها الغالية هي ان تراني متزوجاً سعيداً.» وساد الصمت لحظة، ليعود فيقول: «انك ستتزوجينني، اليس كذلك يا كارين؟»

فقالت محتجة: «ولكن الأمر كان مفاجئاً، وليس بامكاني استيعاب ذلك.» وشعرت بنفسها ترتجف وهي تستطرد قائلة: «انك لم تحاول رؤيتي السنة الماضية حين توفي والدك.»

فأجاب: «لم أجرؤ على ذلك. وعلى كل حال، فقد امضيت هنا بضعة ايام فقط.» وعاد يقول برقة: «لقد كنت اخبرتني مرة انك تحبينني، هل مازال هذا الشعور سارياً؟»

همست قائلة: «اننا لا يكاد يعرف الواحد منا الآخر، من الناحية العقلية.»

فرد عليها قائلاً: «ولكننا نعرف مشاعرنا، وهذا هو الأهم.»

ولكن كارين لم تكن متأكدة. فقد كانت تشعر باضطراب

كلي. فحدوث هذا بعد سنتين من الكراهية، كان فوق ادراكها. كيف بامكانها ان تميز كنه مشاعرها؟

وعادت تسأله: «هل أمك تعتبرني حقاً، الزوجة التي تليق بك؟ لا بد ان هناك كثيرات لائقات بك اكثر مني.»

فأجابها: «لائقات لمن؟ ولماذا؟ اذا كنت أنا اريد الزواج فلا بد أن يكون ذلك من اختياري.»

وأخذ يتفرس فيها لحظة، لم تحاول كارين أن تفكر. كانت تريد ان تشعر فقط. تشعر بما كانت تحس به على الدوام نحو هذا الرجل، وفي الأعماق من نفسها، لقد كان حبها الأول، وأرادته ان يكون حبها الوحيد. وحتى الآن لم تهتم لشيء آخر عدا ذلك.

وعندما رفع، بعد ذلك، رأسه قال بلهجة بانت فيها الكبرياء: «انني افهم من تجاوبك هذا معي، ان جوابك هو نعم، ولا بد ان يكون هذا في اقرب وقت ممكن. ذلك انه لم يبق وقت كاف.»

فأجابت وهي تلهث، شاعرة انها في دوامة بينما قلبها ينبض بعنف: «لا يمكن ان يحدث الأمر بهذه السرعة. كيف اشرح الأمر لوالديّ؟»

فأجاب: «قولي لهما الحقيقة ما عدا ما حدث بيننا. وهما سيقدّران سبب الاسراع في اتمام الأمر عندما يعلمان بوضع أمي الصحي.»

فسألته: «الا تمانع هي في ان يعرفا بأمرها؟»

فأجاب: «كلا. بشرط ان يحتفظا بالسر هذا لأنفسهما فلا يحدثا به آخرين. ذلك انها تكره جداً ان يعلم سكان المدينة بمرضها. لقد بلغت السن القانوني والأمر بيدك وليس

بأيديهما. انها حياتك أنت.» وكانت ابتسامته هي الاقناع بذاته وهو يستطرد قائلاً: «انك لن تندمي، يا كارين. وهذا وعد لك مني بذلك.»

وهكذا ذهب الحذر مع الريح، وكان تفكيرها الطائش هو انها لن تضيع حلم عمرها الذي بدا انه سيتحقق الآن، وذلك مهما كلفها الأمر، لا بد من أن لوغان يحبها ولو انه لم يستعمل هذه الكلمة. والا فما الذي يتوقعه غير ذلك من الزواج اذن؟

وأخيراً، قالت وهي تتنفس بعمق: «نعم.» ولم تشأ ان تكبح عواطفها بعد في التمحيص اكثر من ذلك. واستطردت قائلة: «نعم يا لوغان، سأتزوج منك، وفي الوقت الذي تشاء.»

وكانت ايماءته اقرب إلى عدم الاكتراث وهو يقول: «امنحيني نصف ساعة اعيد فيها الحصان إلى الاصطبل، ثم احضر لرؤية والديك. ولكن، لماذا لا تأتين معي على صهوة الحصان ليمكننا بعد ذلك ان نستقل السيارة معاً؟»

كانت الأمور تمر بسرعة، وبسرعة فائقة، لكن كارين لم تسمح لنفسها بالتوقف والتفكير. لقد كان لوغان هو المسؤول في كل شيء. وهذا ما كان يريده هو، وما كانت تريده هي ايضاً.

ووضعها امامه على الحصان، تماماً كما فعل في ذلك المساء منذ سنتين. ولكن الأمر كان مختلفاً... ومختلفاً تماماً كما أخذت تفكر هانئة مغتبطة كانت ذكرى المرة الأولى التي امتطت فيها صهوة الحصان معه، لاتفارقها، وهل من الممكن ان تنسى؟

كان منزله يقع خلف الطريق الساحلي، وكان مبنياً من القرميد وعلى الطراز الجورجي وكان منزلاً كبيراً مهيباً محاطاً بالحدائق الغناء التي كانت تمنحه حياة والواناً. وكانت الاصطبلات قائمة خلف المنزل، يصل اليها المرء بطريق يمر بجانب الأملاك، والتي هي عبارة عن سبعين فداناً من الأراضي تمتد على طول النظر.

وخرج فتى إلى الباحة ليتناول من لوغان لجام الحصان. وكانت هي تعرفه بالنظر ان لن لم يكن بالاسم. وعلمت انه عرفها هو ايضاً، وذلك من الطريقة التي كانت يحملق فيها بدهشة.

وقال لوغان وهو يديرها نحو المنزل: «يمكنك ان تتحدثي إلى أمي بعد ما انهي انا من هذه الأشياء هنا ولن اتأخر.»

فسألته وقد اعتراها الذعر لفكرة انها ستواجه تلك المرأة: «وماذا اقول لها؟»

فأجاب: «تصرفي حسب طبيعتك، فهي لن تؤذيك.» وابتسم لها مطمئناً وهو يتابع قائلاً: «انها تريد هذا الأمر بقدر ما اريده انا.»

ودخلا من باب جانبي، فاجتازا ممراً ادى بهما الى قاعة فسيحة مكسوة الجدران بخشب السنديان، وفي الوسط كان السلم يصعد الى الطابق الأعلى، ليتفرع من منتصفة الى ردهة من كل ناحية.

وشعرت كارين بالرهبة وهي تنظر حولها حيث مظاهر الثراء مزيجة بجمال الفن والذوق، ونظرت الى نفسها وهي ترتدي هذا البنطلون والقميص البسيطين، هذا الى شعرها

المتطاير في الهواء، اما لوغان فكان يبدو، حتى ببنطلون وحذاء الركوب، بكامل اناقته.

واجتاز البابين اللذين عن يمينه، ثم اشار اليها للدخول الى غرفة يغمرها نور خافت. كانت غرفة رائعة الجمال، ومزينة بالتحف.

وكانت السيدة بانيستر تجلس على اريكة مزركشة بجانب مدفأة، رخامية بيضاء.

ورحبت بهما السيدة بابتسامة من القلب، وهي تقول لابنها: «افهم من هذا أن السعادة سوف تطرق ابوابنا.» ثم اضافت تقول لكارين: «تعالي واجلسي إلى جانبي. ان علينا أن نتعرف الى بعضنا البعض.»

فقال لوغان: «سأترككما اذن، لكي اغير ملابسي.» وأرادت كارين ان تتوسل اليه ان يبقى، ولكنه كان قد سبق وأغلق الباب خلفه. وتحولت نحو والدته ممتثلة لما طلبته منها، وهي تشعر بالضياع، وجلست على حافة مقعدها.

وقالت لها المرأة المسنة: «كوني مرتاحة في جلستك انني ادرك تماماً صعوبة هذا الموقف بالنسبة اليك. ولكن بامكاني ان اطمئنك الى انني موافقة تماماً على اختيار ابني لك.»

فقالت كارين متأملة: «ولكنك لا تكادين تعرفينني.»

فأجابت المرأة: «انني أعرف ما يكفي عنك وعن اسرتك، ان آل غريغوري محترمون جداً.» وسكتت وكأنها تختار كلماتها، ثم تابعت تقول وهي تمعن النظر في الوجه الذي استدار اليها: «انك صغيرة السن جداً، والسؤال الوحيد الذي احب ان اوجهه اليك هو، هل أنت متأكدة تماماً من أن هذا ما تريدينه؟»

فأجابتها كارين دون تردد: «آه، نعم.» وضحكت وهي تستطرد قائلة: «مازلت اشعر بالدوار من المفاجأة. ولكن هذا، بالتأكيد ما اريده، فأنا دوماً...» وسكتت وقد تضرج وجهها، وأخذت تنظر في يديها المتشابكتين في حجرها وهي تتابع قائلة: «لقد قال لوغان انه قد اخبرك... بكل شيء.»

فأجابت المرأة: «نعم، لقد فعل، وذلك منذ سنتين، كانت هذه هي الوسيلة الوحيدة التي جعلني فيها اتفهم السبب الذي جعله يقرر قبول دعوة صديقه ليشاركه العمل في استراليا. وكان هذا التصرف يبدو افضل ما في الامكان في ذلك الوقت.»

فقالت كارين بلطف: «اتراك حرمت من رؤية ابنك طيلة عامين، بسببي؟»

فأجابت المرأة: «ليس تماماً. لقد زرته هناك، وعلى كل حال، لم يكن هو على وفاق مع ابيه، ولهذا كان من الأفضل لهما، هما الاثنين، أن يفترقا لفترة من الزمن. على كل حال، كان ذلك في الماضي. أما الآن فأمامنا المستقبل نتطلع اليه. اظنك ستجهزين نفسك للسكن في هذا المنزل بعد الزواج، اليس كذلك؟»

فأجابت كارين: «حسناً، نعم طبعاً.» ولم تكن هي قد ابتعدت بتفكيرها إلى هذا الحد بعد، فلم تستطع ان تجد جواباً آخر.

فقالت المرأة: «ستكون لك غرفك الخاصة. بالطبع فالمنزل كبير جداً لا نحتاج معه إلى اجراء تغيير في الجناح الشرقي العلوي. كذلك يوجد غرفة إضافية للطفل أيضاً.»

فرفعت كارين رأسها وقد بدا الذعر في عينيها وهي تقول: «غرفة الطفل؟ اليس الوقت مبكراً قليلاً لهذا؟»

وشاب ابتسامة المرأة شيء من التوتر الآن، وبدت الضراعة في عينيها الرماديتين، اللتين تشابهان عيني ابنها، وهي تجيبها قائلة: «ارجو ان لا يطول الأمر كثيراً. ان ما يهمني جداً ان ارى حفيدي قبل ان اموت.»

فأجابت كارين: «طبعاً.» ولم تستطع ان تفكر في شيء آخر تقوله. فهما لم يتزوجا بعد، فاذا كان عليهما ان يحققا رغبة والدته، فعليهما ان يسرعا بالزواج. وشعرت بالارتباك تجاه هذا الالتماس رغم انها كانت توافق على هذه السرعة. كل شيء كان يتحرك بسرعة.

وشعرت بالراحة عندما عاد لوغان الى الغرفة، وكان قد استبدل ملابس الركوب ببنطلون من الكتان، وقميصاً قطنياً ناعماً ذا لون اخضر باهت ابرز سمرة بشرته. وامتلأ قلبها بهجة لرؤيته، ولم تصدق انه سيصبح زوجها.

وسألها قائلاً: «هل انت مستعدة؟ دعينا نذهب وننهي الأمر.»

ولأول مرة، سمحت كارين لنفسها بالتفكير في ابويها وفي الصدمة التي ستسببها لهما. كيف بامكانها ان تجعلهما يتفهما الأمر؟

وقالت متوجسة: «مازال الوقت مبكراً لذلك، ثم انهما لم يقابلاك من قبل.»

فأجاب بحزم: «انهما سيتقبلان الأمر. ان عليهما ان يتقبلا ذلك.»

وقالت الأم تطمئنها: «ان لوغان سيتصرف.»

فوقفت كارين مرغمة. ربما تمكن لوغان من ذلك، ولكنها هي التي ستواجه اسرتها بعد ان يذهب هو، ان ذلك سيصعقهما ولن يصدقا، وهل غير ذلك سيكون تأثير الخبر عليهما؟

وقالت السيدة بانيستر: «سأراك مرة اخرى قريباً.» وبدت مرهقة شاحبة الوجه وهي تكرر: «قريباً جداً.»

وكانا قد اصبحا في السيارة المرسيدس، عندما استطاعت كارين الكلام، فقالت بصوت مرتجف: «قد استيقظ لأجد كل هذا ليس الا حلماً.»

وابتسم لوغان قائلاً: «اتريدينني ان اقرصك لكي اثبت لك انك مستيقظة تماماً؟ اطمأني تماماً لهذا.»

وألقت عليه نظرة جانبية وهو يستدير بالسيارة ليخرج بها إلى الطريق وانطلق بالسيارة أخيراً بيدين ثابتتين على عجلة القيادة. وأخذت كارين تتأمل حركات يديه هاتين اللتين اعجبتاها، كانتا ماهرتين ورشيقتين، ولم يكن يبدو عليه أي اثر للتوتر.

وأحس بمراقبتها له، فألقى نظرة ناحيتها وهو يبتسم قائلاً: «لا تقلقي للأمر فسأتولى انا الحديث.»

ولم تكن الرحلة طويلة. وتملكتها موجة من الهلع عندما اوقف لوغان السيارة امام البوابة. وقاومت هذا الشعور ولكنها مازالت تشعر بنفسها ترتجف في اعماقها وهي تخرج من السيارة.

وقال لها برقة: «تمالكي نفسك.» وأغلق باب السيارة وهو يهمس في أذنها: «كل شيء سيكون على ما يرام، وسترين.»

وفكرت ان هذا سيكون في النهاية، ولكن الآن، كيفية التصرف هو المهم اولاً.

كان الباب الأمامي مفتوحاً على العادة اثناء النهار، رغم كل التحذيرات. وخرجت امها من غرفة الجلوس عندما عادت كارين فأغلقت الباب.

وارتفع صوتها قائلة: «لقد تأخرت...» وسكتت فجأة وهي ترى لوغان. واحتل الاضطراب مكان الدهشة في نفسها وهي تنقل نظراتها بينه وبين ابنتها، ليعاودها، بعد ذلك حسها المرهف في الترحيب بالزائرين. فقالت له: «انك السيد بانيستر، أليس كذلك؟ من وايت غيتز؟»

فأجاب ببساطة: «هذا صحيح، واسمي هو لوغان، انني آسف لعرض الأمور امامك بهذه الطريقة، ولكن خير البر عاجله.»

وازداد الاضطراب في نفسها، فسألته: «لا استطيع ان افهم، أي أمور تتكلم عنها؟»

فأشار الى الغرفة التي كانت خرجت منها لتوها، وهو يقول: «اظن أن من الأفضل أن تسمعي أنت وزوجك معاً، ما سأقول.»

شعرت كارين، وقد جف حلقها، بيده على ظهرها يشير اليها بأن تتقدمه الى الغرفة. ونظر والدها إلى الزائر بدهشة، ثم سأل كارين: «هل حدث شيء خطأ؟»

وبوجه جامد نوعاً ما، أمسك لوغان بيد كارين وهو يقول: «قبل كل شيء، علينا ان نخبركما اننا قررنا الزواج.»

وتبع هذا التصريح الواضح سكوت بدا لكارين دون نهاية. فقد بدا الوجهان الذاهلان اللذان كانا يبادلانهما النظر،

وكأنهما نحتا من الحجر. وكان الأب جون غريغوري هو أول من استعاد قدرته على الكلام، فقال وقد بدت عليه الحيرة: «اليس هذا الكلام مفاجئاً نوعاً ما؟ انني اعرف من أنت، ولكنني لم اكن اعلم انك وكارين، تعرفان بعضكما البعض. ألم تعد حديثاً من استراليا أو ربما من مكان ما؟»

فأجاب لوغان: «هذا صحيح، عدت امس فقط. لقد انتظرت سنتين، وما كنت لأستطيع الانتظار اكثر من ذلك. ويسرنا ان ننال موافقتكما لنا.»

وفكرت كارين في كلمة يسرنا هذه التي كان يجب ان تكون من الضروري. وبقيت عيناها مسمرتين على وجه ابيها، دون ان تهتم بالنظر الى ناحية امها.

وقالت بصوت اجش: «انني اعرف انها ستكون صدمة لكما انتما الاثنتين. وقد كانت كذلك بالنسبة الي أنا أيضاً. ولكن هذا هو ما اريده اكثر من اي شيء آخر في العالم.»

فقالت امها بحيرة: «انني لا افهم. فهذا لا يبدو لي معقولاً ابداً. فقد كنت تلميذة مدرسة فقط منذ سنتين.»

فقال لوغان بلطف: «وهذا هو السبب في انني سافرت بعيداً كنت بذلك انتظرها لكي تكبر سناً، حتى ولو وافقتما ذلك الحين، وهذا ما اشك فيه كثيراً، ذلك انني ما كنت لأثق بمشاعر فتاة في السادسة عشرة. ولحسن الحظ، ما زالت تكن لي نفس المشاعر ونحن نريد أن نتابع حياتنا معاً.»

وقالت الأم تسأله ذاهلة: «أتريد ان تقول انك كنت تقابل كارين عندما كانت في السادسة عشرة؟ لك من العمر ما يناهز عمر والدها.»

فأجاب وهو يلوي شفتيه اشمئزازاً: «ربما، ولكن كارين

كانت تلميذة ناضجة جداً من نواح عديدة. وكانت تجمع بيننا اهتمامات عدة.»

وقالت كارين: «لقد عرفنا ببعضنا البعض ميشيل سنكلير في حفلة عائلية. أتذكرين ميشيل؟»

فأجابت الأم بحدة: «أنكر ميشيل طبعاً. فقد احضرته إلى المنزل مرة ليتعرف الينا. انه امر في منتهى السخافة.»

وقال الأب: «الأفضل لكما ان تجلسا، انتما الاثنين.» وأضاف مخاطباً زوجته: «وأنت ايضاً يا سوزان. ان علينا ان نتحدث في الأمر.»

فرد عليه لوغان قائلاً: «ليس ثمة الكثير للتحدث عنه. فعدا عن اجراءات العرس، ارى من الأسهل لو جعلنا عقد القران بسيطاً ومحدوداً. ان هذا ايسر واسرع. ويفضل ان يكون قبل نهاية هذا الشهر.»

وبدا الانفعال على الرجل المسن الآن، وهو يقول: «والآن دقيقة واحدة، دع كل شيء جانباً الآن، واخبرني لِمَ هذه العجلة ولم يمض على عودتك من السفر سوى نهار واحد؟»

وقررت كارين ان الوقت قد حان للتدخل، فنظرت إلى لوغان، ولما اومأ هذا اليها برأسه موافقاً، قالت: «ان حياة السيدة بانيستر ليست طويلة.» واستمرت بالكلام بنفس اللهجة الواقعية التي كانت المرأة تتحدث بها عن نفسها، فاستطردت تقول: «ومن الطبيعي أن ترغب في رؤية لوغان يستقر قبل الرحيل. وكلما انتظرنا نحن، زاد مرضها.» وسكتت وهي تنقل بصرها بين والديها، ملتمسة منهما التفهم ثم عادت تقول: «وأنا كذلك لا أريد الانتظار.»

وقالت الأم للوغان بصوت خافت: «انني آسفة لأجل

والدتك. كنت سمعت انها مريضة، ولكن ليس لدي فكرة ان مرضها بهذا السوء.»

فأجاب بنفس لهجتها: «انها متقبلة لهذا الأمر، ولكن هذا يجعلك تقدرين رغبتي في جعلها سعيدة قدر الامكان ما دامت بيننا. وهذا سيفيدها كذلك.»

فعادت تسأله: «وهل تعرف بهذا الأمر؟»

فتطوعت كارين بالرد قائلة: «لقد اصطحبني لوغان لرؤيتها قبل أن نحضر إلى هنا.»

فقالت الأم: «من العجيب ان الصدمة لم تقتلها.»

فأجاب لوغان بلهجة عادية: «انها تعلم، منذ البداية، عن شعوري نحو كارين. انني ادرك شعوركما انتما الاثنين. وأنا آسف ان حدث الأمر بهذه الطريقة ولكن هذه هي الظروف. وكارين سعيدة لهذا، وأحب ان تكونا انتما ايضاً كذلك.»

تابع كلامه بعد قليل: «أظن أن من الأفضل لي أن أذهب الآن لأترك لكما فرصة للمناقشة على انفراد. وعندنا ما يكفي من الوقت غداً للبدء في مناقشة التدابير.» والتفت الى كارين يقول بصوت اكثر رقة: «تعالي اوصليني إلى الباب.»

فرافقته دون ان تنطق بكلمة، وقد كرهت ان تراه يذهب بهذه السرعة، رغم انها ادركت السبب في خروجه. ولكن بما انها ستواجه اسرتها عاجلاً ام آجلاً، فلماذا اطالة أمد العذاب؟»

قال لها وهما على عتبة الباب:

«سأراك غداً، ان عليك ان تتعرفي على بيت المستقبل.»

فقالت تذكره: «ان علي الذهاب إلى العمل غداً.»

فتغيرت ملامحه وأجاب: «لقد نسيت عملك هذا. هل يدفعون لك الراتب شهرياً ام اسبوعياً؟»

فأجابت: «أسبوعياً، ولكن...»

فقاطعها قائلاً: «اذن، عليك فقط ان تعطيهم مهلة اسبوع قبل ترك العمل وارى ان يكون الزفاف في التاسع والعشرين من هذا الشهر. وهذا يعني اسبوعاً من بعد الأربعاء القادم. ولا استطيع ان احصل على اكثر من أيام قليلة تكون بمثابة شهر العسل. ولكن يمكننا ان نأخذ فيما بعد، فرصة اكبر.»

وشعرت كارين بدوار في رأسها. لقد سبق وخطط لكل شيء، وفكر في ادق التفاصيل. ولِمَ لا؟ اليس من الأفضل ان يكون لها رجل يعرف بالضبط ما يريد، ويقوم بكل شيء بنفسه، بدلاً من رجل يترك كل شيء للآخرين؟ انها تعرفه دوماً ذا مزايا قوية. ولا تريده غير ذلك. ثم الم تكن تقول امس فقط انها ضجرت من عملها؟

وقالت له: «سيكون اول ما أقوم به في الصباح، هو تقديم استقالتي.» وضحكت فجأة وهي تتابع قائلة: «سيموج المكان من الاثارة عندما اخبرهم بالسبب.»

وابتسم لوغان وهو يهز كتفيه قائلاً: «سيمتد بهم التساؤل تسعة ايام ينسون بعدها كل شيء. الأفضل ان تعودي وتواجهي العاصفة في الداخل. وسأكون هنا مساء الغد.»

وذهب قبل ان تقول شيئاً، وأغلق الباب خلفه، وقفت كارين عدة ثوان تتمالك فيها نفسها قبل ان تعود إلى غرفة الجلوس. لا يمكن لأي شيء يقوله اي شخص، او يفعله، ان يغير عقلها. انها ستتزوج من لوغان مهما كان الأمر. وكما

سبق هو وقال، هذه حياتها وحدها ولها وحدها الخيار. وكانت تعاهد نفسها على هذا وهي تقوم بمواجهة والديها، والذي كان من اصعب الأمور التي واجهتها في حياتها، وفيما اخذت تنقل بصرها من واحد لآخر، رأت ان افضل وسائل الدفاع هو الهجوم، فقالت: «انني ادرك تماماً ماذا افعل. وقد بلغت السن الذي يعطيني الحق في ذلك. ولهذا ارجوكما ان لا تقولا لي اي شيء غير هذا. لقد وقعت في غرام لوغان منذ سنتين، وما ازال.»

فقالت امها: «لقد كنت، منذ سنتين، اصغر من أن تقعي في غرام اي شخص كان. لقد كنت فقط مفتونة بشخص يكبرك بكثير.»

فأجابت كارين: «سمي هذا ما تشائين. فأنا اعرف ما كنت اشعر به ذلك الحين، وما اشعر به الآن.»

فسألها أبوها دون ان يرفع صوته: «وماذا بالنسبة إلى بانيستر؟ هل انت واثقة من مشاعره هو ايضاً؟»

فأجابت: «طبعاً، ولماذا سيتزوجني اذن؟»

وأشارت الأم بيدها بعجز وهي تقول: «ما زلت لا استطيع ان افهم، انك لم تذكري اسمه من قبل.»

تقدمت كارين نحو امها بخفة لتطبع قبلة على وجنتها وهي تقول: «كل شيء سيكون على ما يرام. صدقيني. وأنا أحبه.»

فقالت الأم: «ولكن عمره ضعف عمرك تقريباً.»

فأجابت: «لن تتغير مشاعري نحوه مهما كان عمره.» وحاولت ان تلطف الجو بنكتة فأضافت تقول: «وعليك ان تعترفي بأنه جميل الوجه.»

فقالت امها بحدة: «هناك أشياء في الحياة الزوجية اهم كثيراً من الجمال والمال. كيف تعرفين ان كان بامكانك ان تثقي به؟ فقد كانت سمعته في الماضي سيئة.»

فأجابت كارين رافضة ان تدع تصريح امها هذا يزعجها: «اذا كان ذلك صحيحاً، فقد كان في الماضي. وانما سيكون قلقي اكثر من هذا لو انه لم يكن قد سبق وانتهى من كل طيش شبابه.»

ونظرت إلى أبيها قائلة: «انني آسفة إذ فاجئتكما بالأمر بهذه الطريقة، ولكن ارجوكما ان تحاولا تفهم الأمر، انني احب لوغان وأنا سأتزوجه واريدكما ان تكونا سعيدين لأجلي.»

فأجاب والدها: «لو انه يهتم بك حقاً لكان عليه ان ينتظر فترة.»

فهزت كارين رأسها وهي تجيب: «دون اي اعتبار لحالة امه؟ ان هذا لا يؤثر على الأمر شيئاً على كل حال.» وسكتت وهي تنقل بصرها بينهما، ثم تتابع قائلة: «لا اظنكما سترفعان ايديكما عن حفلة الزفاف، أليس كذلك؟»

فأجاب أبوها باشمئزاز: «هذا يعني انك سائرة، في طريقك سواء شئنا ام ابينا. كلا، لن نفعل هذا. وكيف ندير ظهرنا إلى ابنتنا؟»

فقالت: «شكراً.» وسكتت دون ان تدري ما تقول بعد ذلك، ثم عادت فقالت: «اظنني سأذهب إلى فراشي مبكرة هذه الليلة ايضاً. وغداً سأقدم استقالتي من العمل. وبالمناسبة، ان لوغان لا يحب الزوجة التي تعمل.»

وهربت من الغرفة قبل ان تبدأ التعليقات، حيث صعدت

مباشرة الى غرفتها، فجلست على حافة السرير تتأمل نفسها في المرآة. ان الحب لا يجعل العالم يستمر فقط، وانما يسبغ جمالاً على المحبين. قررت ذلك وهي تلاحظ بريق عينيها وتألق بشرتها. ان الثقة بالنفس هي المفتاح لكل شيء، وما دام لوغان إلى جانبها، فبإمكانها ان تعالج اي وضع يصادفها.

الفصل الثالث

ومرت حفلة الزفاف دون عائق، وكانت أمها تفضل لو كانت في احتفال كبير، ولكن لوغان رفض ذلك لضيق الوقت.

كان قد وضع التدابير بنفسه، وأصر كذلك على دفع فواتير العرس. ولما كان مبلغ التوفير عند والدها متدهوراً، ولخوفه الشديد من الدين، فقد وجد والدها نفسه يبتلع كبرياءه ويدع الأمور تسير في طريقها.

وبالرغم من كل هذه السرعة التي تم بها عقد القران، فإن أخبار الزفاف قد انتشرت في المدينة انتشار النار في الهشيم. وما أن خرجا من مكتب تسجيل عقود الزواج، حتى وجدا أفواجاً من المهنئين بالانتظار أمام الباب. وتسلحت كارين بالشجاعة محاولة أن تتجاهل أن معظم الموجودين كان قد أتى بهم الفضول فقط وليس الاهتمام الحقيقي.

وعدا عن صديقتها جين، لم تدعُ أحداً من خارج أسرتها. أما لوغان، فقد أضاف إلى قائمة المدعوّين التي كان وضعها عدداً من أصدقائه. وقد صدمت تماماً وهي ترى مارغوت وزوجها دنكان أشلي بينهم، والتي بدا عليها السعادة. وكانت ترتدي ثوباً برتقالي اللون من الحرير أُعجبت به كل امرأة أخرى في الحفلة بما في ذلك العروس نفسها حسب رأي كارين.

وفي مكان الاستقبال، كان عليهما تناول الطعام في مقصف قد أقيم في وايت غيتز، وفي النهاية كانت ولوغان

سيسافران إلى كوتز وولدز حيث كانا سيمضيان عدة أيام في فندق صغير خاص في الريف كان لوغان يعرفه. وكانت كارين تتفهم كراهيته لترك أمه بمفردها وقتاً أطول معرضة بذلك لظروف مرضها، لقد قال الطب كلمته وهي أن ما بقي لها في الحياة هو أقل من سنة. ولكن ذلك قد يعني أكثر أو أقل.

وأخيراً، عندما أصبحا في سيارة الليموزين، سألها: «هل أنت سعيدة؟»

فأجابت: «في غاية السعادة.» وكانت تحاول أن تنفي عن ذهنها منظر والديها اللذين كانا يقفان على الرصيف وقد بدا عليهما الوحدة والتعاسة. وكان عليهما أن يتبعاهما في إحدى السيارات الأخرى إلى المنزل حيث حفلة الاستقبال.

وقال لوغان وقد علم بالضبط ما تفكر فيه من وجهها الذي غشيته سحابة: «انهما سيعتادان الأمر.»

واغتصبت كارين ابتسامة وهزة من رأسها وهي تقول: «أعلم هذا.» ونظرت إلى الخارج من خلال النافذة إلى الشوارع التي تغمرها أشعة الشمس، وقد انتابها احساس غامر بالسعادة، وهي تقول: «أرجو أن يستمر هذا الجوّ ولو لعدة أيام على الأقل.»

وارتسمت على شفتي لوغان ابتسامة بطيئة وهو يجيب: «إن بامكاننا أن نجد طرقاً لإسعاد أنفسنا ولو لم يكن هذا الجوّ الجميل.»

وقالت تستثيره: «إنني مسرورة لحضور مارغوت العرس، فهذا يعني أنها لا تضمر لك حقداً.»

فأجاب: «ليس لديها سبب يحملها على ذلك. فقد كانت تعلم أنني راحل.»

فألقت عليه نظرة جانبية وهي تقول: «أرجو أنها لم تسألك عن سبب الرحيل.»

فأجاب: «كلا بالطبع، كان يكفي أن أعلم أنا بالأمر.»

فقالت متسامحة: «لم يكن الذنب ذنبك في ما سبق وحدث بيننا. فقد كنت أنا دون خجل على الاطلاق.»

فقال مبتسماً: «على الإطلاق. ولكن كان من غير الممكن مقاومتك.»

ومنحها الزجاج الذي يفصل بينهما وبين السائق الحرية في الكلام، فأجابته: «أرجو أن تجدني كما كنت.»

فأجاب: «سأخبرك بالجواب الليلة.»

وضحك وهو يراها تتضرج خجلاً، وأضاف: «وسيكون الأمر شرعياً وصريحاً هذه المرة.»

وطبع قبلة خفيفة على صدغها وهو يقول: «هذه فقط للمجاراة، يا سيدة بانيستر.»

السيدة بانيستر؟ وبدا هذا الاسم غريباً في أذنيها، ورائعاً كذلك...

كان فريق الخدم في قصر وايت غيتز والمقيم هناك، مؤلفاً من رجل اسمه لاوسون وزوجته ويقيمان في شقة فوق الكاراج. وقد كانت السيدة لاوسون أعدت مقصف الطعام بنفسها، فكان عملها هذا رائعاً. ولا يعني هذا أن كارين شعرت بشهية للطعام، ومع هذا فقد أرغمت نفسها على تناول شيء منه.

وكان الثوب الأبيض الذي اختارته ليوم الزفاف، عملياً

ويصلح للسفر، وذلك لكي لا تتحمل عناء تغيير ثيابها عند الرحيل. وعلى كل حال فإن لوغان لم يشأ أن يسافر في بذلته الرمادية التي كان ارتداها لهذه المناسبة. وهكذا، صعد إلى غرفته حوالي الساعة الثالثة، لكي يستبدل ملابسه.

كان والداها مستغرقين في الحديث مع السيدة بانيستر، كما كانت صديقتها جين تفتش عن صديقها روي غيلينغهام لتحظى منه بموعد، عند ذلك وجدت كارين نفسها بمفردها، ولكن لترى مارغوت قادمة نحوها وفي يدها كوب عصير ترفعه تحية لها، وهي تقول: «جئت أتمنى لك حظاً سعيداً. إذ انك ستكونين بحاجة إليه.»

وبهتت ابتسامة كارين وهي ترى الحقد في تلك العينين الخضراوين. لقد كانت مخطئة، إن مارغوت تشعر بالحقد فعلاً، ولكن نحوها هي وليس نحو لوغان كما يبدو.

وأجابتها قائلة: «ولكنني أمتلك الحظ السعيد الآن، وأشكر لك هذه المجاملة.»

فضحكت مارغوت بإشفاق وقد ازداد الحقد في عينيها، وهي تقول: «إنك لا تعرفين، كما أرى عن الشرط الذي كتبه والد لوغان في وصيته، أليس كذلك؟» ولم تنتظر الجواب، بل تابعت تقول: «إن على لوغان أن يتزوج قبل الإجازة الاسبوعية القادمة، وإلا فقد حقه في الميراث. ويبدو أن الرجل العجوز كان يعلم أن ابنه بحاجة إلى من يجعله يستقر، مع أن ليس من المعقول أن يعتبر فتاة في الثامنة عشرة، أهلاً لأن توفر له ذلك، وأنا متأكدة من هذا.»

وتراءى لكارين، أن هذا صحيح. فقد سبق وقال لوغان

هذا بنفسه في أول مساء. فالشرط الذي لم يهتم بتنفيذه بعد وفاة والده، قد جعله مرض والدته عاجلاً ملحاً. فقد كانت كلماته بالنص (الآن، يجب عليّ ذلك).

وهكذا، في مدى ثوانٍ قليلة كان عالمها بأجمعه قد تشتت برداً، لقد كان هذا إذن السبب الحقيقي الذي يكمن وراء استعجال لوغان بالزواج. ذلك لأنه لا يمكنه أن يطالب بالميراث دون أن يكون متزوجاً. إنه لا يحبها، بل استغلها كحلٍ جاهز للمشكلة.

ولكن، لا بد أنه كان هناك كثيرات غيرها بامكانهن أن يساعدنه في مأزقه هذا، وخففت هذه الفكرة عنها قليلاً لتعود فكرة أخرى تحتل تفكيرها... من غيرها بلينها وخضوعها هي، من غيرها تسمح له بمثل هذه السيطرة عليها وفرض أوامره؟ من غيرها يمكنه أن يتخلّص منها بسهولة في النهاية فيما لو استلزم الأمر ذلك، دون أن تسبب له المشكلات؟ والتي هي خطته، دون شك بعد رحيل والدته...

لم تكن، في أعماقها تثق به منذ البداية، لقد عرفت ذلك الآن. ولكنها كانت قد صدّت كل الشكوك من أن تطرق ذهنها. ولا تستطيع أن تفعل ذلك بعد الآن. كان عليها أن تواجه الحقيقة. وهي أنها كانت مجرّد وسيلة لهدف لا أكثر.

واستطاعت أن تجد القوة لكي تتمالك نفسها فتبتسم وهي تقول بمرح: «آه، ذلك الشرط! ظننتك تتحدثين عن شيء آخر. طبعاً أنا أعرف عنه كل شيء، ولماذا تظنينني أسرعت بالزواج إذن؟»

ولكن مارغوت لم تصدقها، فقد رأت الحقيقة من التعبير الذي ظهر على ملامحها. ولم تهتم هي، ومضت في

ادعائها. وحاولت أن تضحك وهي تتابع قائلة رغم استغرابها لصدى ضحكتها تلك: «إن لوغان ليس هو الرابح الوحيد، على كل حال.»

فأجابتها مارغوت ساخرة: «بل سيكون. كوني متأكدة من ذلك.»

حتى الآن، كانت كارين متأكدة من شيء واحد، وهو أن هذه هي المرة الثانية التي يستغلها فيها لوغان، ولكنها ستكون الأخيرة. فهي ستجعله يكتشف كم كان مخطئاً في تقديره. وعندما ابتعدت مارغوت تملّك كارين شعور بالغ بالألم والمذلّة سرى في كل كيانها.

كيف ومتى عليها أن تخبره ما اكتشفته؟ لم تكن متأكدة، ولكن عليها أن تخبره. لقد انتهى هذا الزواج، معنوياً، قبل أن يبدأ... يمكنه أن يذهب بمفرده إلى كوتز وولدز.

ولكنها أخذت تتساءل عما إذا كان بامكانها أن تشرح سبب هذا لوالديها وللسيدة بانيستر؟ ولكن لا بد أن والدته تعلم بأمر تلك الفقرة في الوصية، بطبيعة الحال. وهذا يفسّر أموراً كثيرة، منها رغبتها في أن ترى ابنها يتزوج قبل أن تموت، وأيضاً حصوله على الميراث. وهكذا وجدت نفسها مرغمة على قبول أيّ فتاة يلتقطها تقبل معه بمثل هذا الزواج السريع. ولكن، مهما كان الأمر، فهي ما زالت امرأة في طريق الموت، فهي لا بد أن تعفى من هذا الأمر كله، أما بالنسبة إلى والديها، فإن تصوّر كارين للأمر الذي سيحدثه تصريحها لهما بالأمر، هذا التصوّر جعلها ترتجف. كلا، ليس بامكانها أن تفعل ذلك. خصوصاً الآن وفي هذا المكان. وهكذا، لم يكن أمامها سوى أن تستمرّ في هذه اللعبة.

وعاد لوغان بعد دقائق وقد بدا عليه الارتياح في جاكتة رياضية عادية وبنطلون قطني خفيف.

وقال لها: «إن حقائبنا في السيارة، وعلينا نحن كذلك أن نشرع في المسير.»

وأبقت كارين الابتسامة على وجهها حفظاً للمظاهر، منتبهة إلى مراقبة مارغوت لها من آخر الغرفة. وقالت تجيب لوغان: «ولِمَ العجلة؟ فالمسافة إلى حيث نحن ذاهبان لا تستغرق أكثر من ساعتين، أليس كذلك؟»

فأجاب: «إن ذلك يعتمد على مقدار ازدحام السير.» كانت لهجة لوغان عادية، ولكن التصميم كان بادياً في عينيه وهو يتابع قائلاً: «ليس ثمة سبب يجعلنا نتأخر أكثر من ذلك.»

فقالت تفتش عن سبب يجعلها ترجيء انفرادها به: «أظن عليّ أنا أن أستبدل ملابسي. هذه الملابس ستجعلني أشعر بحرارة شديدة في السيارة.»

فأجاب: «إن بامكاننا أن نشغل المكيّف في السيارة.»

وكانت كارين قد نسيت هذا، ولكنها لم تشأ أن ترضخ. وتعبت من رسم الابتسامة على شفتيها، فقالت: «لا يهم. فسأستبدل ثوبي.»

وبدا عليه للحظة، وكأنه سيصرّ على رأيه، ولكنه عاد فهز كتفيه وهو يقول هازلاً: «هذه هي عادة النساء، لا بأس ولا تتأخري.»

كانت ثيابها قد أحضرت إلى قصر وايت غيتز في اليوم السابق، وعلقت في إحدى الخزانات القائمة في الجدار الخلفي للغرفة التي ستكون لهما حين عودتهما. وكانت غرفة جميلة ذات نافذة رائعة وأثاث فاخر كما رأتها كارين

حين وقعت عيناها عليها لأول مرة. أما الآن، فإن منظر هذه الغرفة أحدث في حلقها غصة وهي تفكر في أن لوغان سواء كان يحبها أم لا، فهو سيحصل على حقوقه الزوجية كافة.

وكانت شبه متوقعة أن يتبعها إلى غرفتها، ولكنه لم يفعل ما جعلها تشعر بالارتياح. فقد كانت بحاجة إلى أن تعدّ نفسها للمواجهة. وعليها أن تقوم بها قبل أن يصلا إلى الفندق إذا هي لم تشأ أن ترى نفسها معه في نفس الغرفة.

وارتدت بنطلون جينز وقميصاً قطنياً بسيطاً، ثم هبطت السلم عائدة إلى غرفة الاستقبال، ورفع لوغان حاجبيه ساخراً عندما رآها، ولكنه لم يعلّق بشيء. فقد ترك الأمر لأمها لتعنفها على مظهرها هذا إذ هتفت بذعر: «إنك غير جادة إذ تذهبين إلى شهر العسل بهذه الملابس؟ ماذا حصل لك؟»

فأجابت كارين بلهجة هادئة وقد بدا عليها عدم الاهتمام: «إنني مرتاحة بهذه الملابس. وهذا أكثر أهمية لديّ من أن أبدو مثل المانيكان في واجهات متاجر الملابس.»

وقال لوغان موافقاً: «إنها تبدو دوماً جميلة يا سيدة غريغوري. ونحن غير ذاهبين بعيداً، على كل حال.» ونظر إلى ساعته وهو يتابع قوله: «والأفضل أن نشرع بالمسير. فأنا أحب أن أكون هناك قبل العشاء.»

وتقدم الجميع إلى باحة القصر لتوديعهما، وأرغمت كارين نفسها على النظر مباشرة في عينيّ مارغوت وهي تودّعها، وقد صمّمت على متابعة تمثيل دورها حتى النهاية، إن الطريقة الوحيدة التي يعرف بها أحد عن هذا الشرط في الوصية، هي أن يخبره لوغان بذلك، بنفسه. وهذا

يعني شيئاً لم تستطع أن تحمل نفسها على التفكير فيه بعمق.

وكان والداها سيتركان المكان بعدهما مباشرة، مع أنه كان عليهما أن يعودا في المساء كمدعوين إلى حفلة العشاء التي ستقيمها السيدة بانيستر في القصر. ولم يكن أيّ منهما راغباً بشكل خاص، في الانخراط بزمرة معارف السيدة بانيستر، ولهذا كانت كارين تشك في إمكان تكرر مثل هذه المناسبات. فقد كان من الصعب عليها التعامل مع مثل هذه المناسبات خصوصاً الآن بعد ان تبدّدت ثقتها في كل شيء.

وكان لا بد أن يحين الوقت للرحيل. وعندما استدارت السيارة خارجة من المنزل، كانت هي تغوص في مقعد السيارة الوثير، بكل راحة. وحاولت أن لا تفكر في شيء. وأن تترك نفسها تسير مع الواقع فإنها تمرّ في أسعد أوقات حياتها، فلا يحتمل الأمر أن تفكر في شيء آخر.

وبعد مسيرة عشر دقائق، قال لوغان: «تبدين هادئة جداً. هل أنت متعبة؟»

فتمسكت بهذه الحجة قائلة: «يبدو ذلك، فقد كان الأسبوع الماضي حافلاً بالمشاغل.»

فقال: «خذي غفوة إذن، إننا لا نريدك أن تنامي على مائدة العشاء.»

أتراه ينصحها بذلك لكي لا تستطيع أن تقول شيئاً فيما بعد؟ وسلبت هذه الفكرة كل أمل في التسامح من نفسها، وأغمضت عينيها دون أن تجيبه، وستبقى كذلك قدر الامكان. وعندما تفتحهما مرة أخرى، سيكون الوقت قد

حان لتقول ما ينبغي أن يقال. ولا بد أنها أخيراً، قد استغرقت في النوم وعندما فتحت عينيها كانا يسيران في الطريق الريفي والشمس تطل عليهما من النافذة الجانبية. وكان لوغان قد خلع جاكتته، وشمّر كمي قميصه. ويبدو أنه قد توقف فترة بالسيارة.

وعندما رفعت رأسها عن الوسادة في الزاوية، قال لها برقة: «ها قد استيقظت. لا بد انك كنت متعبة حقاً.»

سألته: «كم الساعة؟»

فأجاب: «بعد السادسة بقليل، لقد قطعنا مسافة طويلة، وسنكون هناك بعد نحو نصف ساعة.»

وتنفست كارين بعمق وهي تدرك أنها لن تستطيع أن تتأخر في الكلام أكثر من هذا، وقالت بلهجة جافة: «من الأفضل أن توقف السيارة فإن لديّ ما أحب أن أقوله لك.»

فنظر إليها بسرعة، وقطب حاجبيه وهو يرى التعبير الجامد على وجهها، وقال: «هيا، تكلمي.»

فأصرّت قائلة: «ليس أثناء قيادتك للسيارة.» ورأى إشارة إلى مكان لوقوف السيارات بجانب الطريق، فأدار السيارة ليوقفها في المكان المناسب ولم يكن في المكان سوى عربة بعيدة عنهما، ما جعلهما منفردين تماماً.

وقال: «هات ما عندك.»

كانت أمامها طريقة واحدة لخوض الموضوع، ألا وهو الطريق المباشر فقالت: «لقد أخبرتني مارغوت عن الوصية.»

ولم يكن تأثير كلامها عليه كما كانت تتوقع. لم يكن هناك شعور بالذنب وإنما لوى شفتيه اشمئزازاً وهو يقول:

«كنت ستعرفين ذلك في النهاية، ولو انني كنت أريد أن أخبرك بذلك بنفسي. والظاهر ان أبي لم يجعل الأمر سراً.»

وحدّقت فيه كارين بصمت، لحظة وقد أدركت الآن أنها في أعماقها كانت تتمنى لو انه ينكر ذلك، وأن تسمع منه أن هذا كذب والأمر كله مزحة مريضة من مارغوت.

وأخيراً قالت: «إذن، فالأمر صحيح. وأنت قد تزوجتني فقط لكي تحقق شرط الوصية هذا.»

وبقيت العينان الرماديتان هادئتين وهو يقول: «صحيح أنه كان عليّ أن استعجل الزفاف لكي لا يفوتني الوقت المفروض لتحقيق الشرط المطلوب، ولكن هذا لا يعني أنني لم أكن أريد أن أتزوجك.»

فقالت: «لا أصدقك.» وكانت الكلمات قد انسلخت من نفسها وهي تتابع قائلة: «كان عليك أن تجد فتاة توافق على الزواج منك بهذه السرعة، وكنت أنا أسهل من صادفت في طريقك. ساذجة، سهلة الانخداع، مسلوبة العقل!» وعندما تحرّك نحوها، ابتعدت عنه بحدة قائلة: «لا تلمسني.»

فعاد يجلس في مقعده وقد تجهم وجهه فجأة، وهو يقول: «ولهذا، لم أكن صادقاً تماماً معك. فانني لم أجرؤ على ذلك لكي لا تظني ما تظنينه الآن، فترفضين طلبي.»

فسألته بمرارة: «وماذا غير ذلك من المفترض علي أن أظن؟ إنك كنت تعلم شعوري نحوك، فاستغللت ذلك تماماً كما استغللته منذ سنتين.»

فقال: «هذا غير صحيح.» وكان ما يزال متمالكاً أعصابه وقد أطبق فمه بحزم. وتابع قائلاً: «لقد فقدت شعوري معك منذ سنتين، ودفعت الثمن. وكان سبب وضع أبي لهذا الشرط

في وصيته هو اعتقاده بأنني بحاجة إلى زوجة لكي أستقر في هذا المكان. فإذا أنا لم أجد واحدة خلال سنة من معرفتي بوصيته تلك، فهذا معناه أنني لن أتزوج مطلقاً.»

وسكت وهو يتفرس في وجهها وقد لانت ملامحه قليلاً. ثم تابع قائلاً: «كارين، إذا كان الميراث هو كل ما أريد لكنت إما تزوجت قبل الآن، وإما رفعت دعوى ضد الوصية في المحاكم. ولولا مرض والدتي، لتركت كل شيء في مكانه، لكي يذهب كل شيء بعد ان ينتهي عمرها، إلى المؤسسات الخيرية. فقد سبق وأسست لنفسي ثروة في أوستراليا. ثروة كافية. فأنا لست بحاجة إلى مزرعة الخيول هذه ولا لأي شيء آخر.»

فقالت بصوت خشن: «هذا لا يغيّر من الأمر شيئاً. فلولا مرض أمك لما عدت من أوستراليا مطلقاً، ولما طلبت مني أن أتزوجك.» وأمعنت النظر في ملامحه، تفتش عن شيء كانت تعلم أنه غير موجود، ثم تابعت تسأله: «أليس كذلك؟»

وكان في تردده، الجواب الفاصل، وأخذت تفتش عن مقبض الباب دون أن تعرف بالضبط، إلى أين تذهب. كان كل ما تريده هو أن تبتعد عن هذا الرجل الذي تحوّل فجأة إلى رجل بغيض في عينيها.

ولكن اليد التي قبضت على ذراعها كانت حازمة أكثر منها خشنة، وهو يقول لها: «إنك لن تذهبي إلى أيّ مكان، بل ستجلسين وتستمعين إليّ.»

فسألته بخشونة: «وماذا تريد أن تقول لي؟ إنك تحبني؟»

فأجاب: «وهل من الصعب تصديق هذا؟»

فأجابت: «نعم. فالإنسان لا يستغلّ من يحب.»

فقال بصوت هادىء: «قد لا يكون هناك بديل لهذا في ظروف معيّنة. كما ان هذا يعتمد على مفهومك لهذه الكلمة، الحب. فإذا كنا نتحدث عن تلك الكلمة الطنانة الجوفاء التي يتحدثون عنها في الكتب والأشعار، فنحن إذن على طرفي نقيض. كلا، ربما لو لم تكن ظروفي هذه لما سألتك الزواج مني، ولكن ذلك سيكون لفارق السن فقط وليس لأنني لا أشعر بشيء نحوك.»

فقالت: «آه، يمكنني أن أتصوّر أنك تشعر بشيء ما نحوي. إنك جعلت هذا واضحاً تماماً.» ونضح صوتها بالمرارة، لتقول بعد ذلك بلهجة لاذعة: «إنما لا تتصور انك ستنغمس في ذلك. وهذا كل شيء.»

فسألها: «وماذا يعني هذا؟»

فأجابت: «يعني اننا لسنا في العصر الفيكتوري، فإذا كنا متزوجين، فإن هذا لا يعني أنني سأكون مرغمة على فعل ما لا ترضاه نفسي.»

فقال: «دعيني أضع هذا في شكل مفهوم. هل تقولين انك مستعدة لمتابعة الحياة الزوجية، إنما في نطاق ضيّق؟»

فردّت قائلة: «إذا أخذنا بالاعتبار حالة أمك الصحية، ولا أذكر هنا مشاعر والديّ، فإنني مرغمة على الاستمرار بحياتنا الزوجية هذه. ولكن طالما ستستمر فأنا لن...لن أتعاطف معك.»

فاستحالت ابتسامته إلى نوع من العنف وهو يجيبها قائلاً: «إن بامكاني أن أجعلك تعودين إلى رشدك بأسرع وقت ممكن.»

فقالت: «إنك تعرف ما أتحدث عنه. ويمكنك أن تمزح بهذا الأمر كما تريد، ولكنني جادة في كلامي.»

فنظر إليها وكأنه يراها لأول مرة، دون أن يعجبه ما يرى، وقال: «من هو الذي يمزح؟ لقد ظننتك كبرت، ولكنني أرى الآن أنني كنت مخطئاً. فما زلت نفس المراهقة التي عهدتها. دعينا إذن نوضح الأمور، إذا كان هذا ما تريدين. لقد أردت أن أستحوذ على الأملاك لأن هذه كانت إرادة أمي. ولم أشأ أن ألطّخ اسم العائلة في المحاكم لكي أحصل عليها. فكنت أنت الخيار الطبيعي أمامي، والوحيد. إن فرق العمر ما زال يضايقني، ولكن في مقابل الأشياء الأخرى، لم يكن من العسير تخطي هذه العقبة.» وهز رأسه وهو يراها تهمّ بالكلام، وتابع يقول: «كلا، اسمعيني أولاً. أيّ شيء آخر قد تشعرين أو لا تشعرين به، هنالك شيء واحد لم يتغيّر وقد أمكنني أن أحسّ به فيك في أول ليلة لنا مضت. ربما لا يكون التعاطف بيننا أساساً للزواج، ولكنه جزء أساسي فيه. أما المشاعر الباقية فيمكن أن تنمو إذا تيسّرت لها شبه فرصة لذلك.»

وجاء دور كارين لتهز رأسها وقد أغلقت قلبها وعقلها لأي رجاء، وهي تقول: «ليست هذه هي الطريقة التي أشعر بها نحوك الآن.» وسكتت برهة وقد بدت عيناها قاتمتين في وجهها الممتقع، ثم تابعت تقول: «إنني أكرهك، يا لوغان.»

وتأوه مستسلماً وهو يقول: «ها قد عدت إلى الكلام الصبياني.» ومد يده يدير المحرّك وهو يستطرد قائلاً: «من الأفضل أن نتابع طريقنا.»

فقالت بصوت مرتجف: «أريد أن أعود، فليس هناك فائدة من الاستمرار معك.»

فقال: «إن هناك مظاهر علينا أن نراعيها على الأقل، فقد حجزنا غرفة في الفندق إلى نهاية العطلة الاسبوعية وهي المدة التي سنمضيها هناك.»

فقالت مصرة: «إذن فلتكن غرفتين منفصلتين.»

ولم يجب على هذا، وأطبق فمه بشدّة وهو يندفع بالسيارة بعنف... وعندما عادا إلى الطريق، عادت كارين تغمض عينيها. ولم تكن خائفة من الاصطدام لأن الطريق كان خالياً من السيارات، ولكنها أرادت أن تخفي تعاستها.

كان الفندق يمثل الجمال بكل مظاهره، تحيط الورود بمدخله، والنباتات المتسلقة تغطي الجدران، وكان قائماً في ضاحية قرية رائعة المناظر. وكان يصلح لأن يكون مكاناً رائعاً لقضاء شهر العسل. وامتلأ قلب كارين ألماً وهي تفكر بهذا، إن أمامها أربع ليالٍ كاملة وأربعة أيام عليها أن تمضيها قبل أن يعودا إلى بارستون دون أن يثيرا الشبهات في أن الأمور بينهما ليست كما يجب. كيف سيتمكنان من قضاء الأيام؟ لم يكن لديها فكرة عن ذلك. ولكن لا بد أن يكونا منفصلين أثناء الليالي.

وفي الردهة المكسوة الجدران بخشب السنديان، قال لها: «اجلسي ريثما أجهز الأمور.»

لقد كانت المرة الأولى التي يتحدث إليها فيها في خلال نصف ساعة، ولكن صوته كان طبيعياً تماماً، كما لم تلاحظ كارين أيّ أثر للتوتر في عينيه.

وقالت له وهي تحاول تمالك مشاعرها: «إنما لا تنس ما كنت قلته لك عن الغرفتين المنفصلتين.»

ولم تتغير ملامحه وهو يقول: «إنني لم أنس.»

وكان مكتب موظف الاستقبال يتسع لشخص واحد فقط وحدّقت كارين في ظهر لوغان وهو منحن يضع توقيعه على الأوراق، واعترفت بينها وبين نفسها بأن تأثير كتفيه العريضتين وبناء جسمه القويّ المتين كل هذا ما زال له نفس التأثير على مشاعرها. ولكنها ما لبثت أن نفت هذا من ذهنها بحدة، قبل أن تتزايد مثل هذه الأفكار.

وعاد هو إلى حيث كانت تجلس، فحمل الحقيبتين وما زال الجمود يكسو وجهه، وهو يقول: «لا يوجد مصاعد. وسنصعد مشياً على الأقدام. إنه الطابق الأول فقط.»

ولم تشأ كارين أن تسأله عما إذا كان حجز غرفتين منفصلتين، إذ لا بد أنه قد فعل ذلك. طبعاً لا بد أنه فعل، وإذا لم يكن ذلك، فهي ستخرج من المكان على الفور.

وحمل الحقيبتين بسهولة ليسير بخفة أمامها صاعداً الدرج الضيق ليصل إلى رواق واسع تقوم فيه الأبواب على الجانبين، ووضع الحقيبتين على الأرض أمام أول باب على اليسار ثم أخرج المفتاح من جيب بنطلونه، فأدخله في القفل، ثم رجع إلى الخلف يشير إليها بالدخول.

ودخلت كارين، صاعدة درجتين لتصبح في الغرفة التي كانت تحوي سريراً مزدوجاً يغطيه مفرش مطبوع بالأزهار. وشعرت بيد لوغان الثابتة على ظهرها تدفعها إلى الأمام، فقفزت وهي تستدير إلى الخلف لتراه يدخل الحقيبتين ثم يغلق الباب خلفه بقدمه.

وابتدأت تقول: «لقد قلت لك...»

فقاطعها قائلاً: «أعرف ماذا قلت لي، ولكن ما حدث هو أنها كانت الغرفة الوحيدة الموجودة.»

فقالت: «إنني لا أصدقك، فأنت لم تحاول أن تسأل.»

فأجاب: «لم يكن ثمة فائدة من السؤال، فقد كان مفتاح هذه الغرفة هو الوحيد على لوحة المفاتيح. ذلك أن شهر حزيران (يونيو) مرغوب جداً لقضاء الإجازات، وقد كنا محظوظين إذ وجدنا غرفة.»

فقالت: «محظوظان؟ إنه أتعس أيام حياتي حظاً ذلك اليوم الذي وقعت عيناي فيه عليك. إنني لن أشاركك الغرفة. ليس الآن ولا بعد الآن.»

فرد عليها متجهماً: «ليس عليك أن تشاركيني الغرفة فقط، بل أن تتصرفي أيضاً كإمرأة راشدة، فانك لم تعودي في السادسة عشرة. حاولي أن تتذكري هذا على الدوام.»

فقالت بحدة: «إذا كان التصرف كامرأة راشدة يعني أن أقبل بوجودك إلى جانبي، فإن هذا لن يهمني. وإذا لم يكن لي مكان هنا، فسأذهب إلى مكان آخر.»

فسألها: «وكيف؟ فأنا لن أسلّمك مفاتيح السيارة، ونحن على بعد أميال من أقرب مكان يمكنك أن تجدي فيه المأوى.»

فقالت بوحشية: «هذا لا يهمني. وإنني أفضل أن أبيت في مخزن التبن على أن أبيت معك.»

وبدا عليه الانفعال وهو يقول: «لا تكوني سخيفة. وأخفضي من صوتك.»

وأخذت تفتش في ذهنها باستماتة، عن أي شيء تؤلمه به كما تتألم هي، تمسكت بالأمر الوحيد الذي وجدته فقالت: «إنك ليس فقط تكاد تكون مثل أبي سناً، وإنما تتكلم كالآباء أيضاً.»

ولوى شفته العليا وهو يجيب: «ربما كان يجب أن أتصرف كالآباء أيضاً.» وسكت برهة ثم عاد يقول: «انسي هذا، إنني زوجك ولست أباك. وعلينا أن نتحدث في هذه الأمور بتعقل.»

فقالت وقد خفت صوتها الآن: «لقد سبق وتحدثنا. وقد أوضحت أنت كل شيء تماماً.»

فقال: «أردت مني الصراحة، فأعطيتك الصراحة.» وتفرس في وجهها برهة ثم تنهد ورفع كتفيه بحركة من يعتذر وهو يقول: «إنني لست الأمير الفتان الذين تحلم به الفتيات، يا كارين. ولم أكنه قط، ولكنني ما زلت نفس الرجل الذي شعرت معه بالسعادة وتزوجته، هذا إلى ساعات معدودات.»

فقالت: «كلا، هذا غير صحيح. إنك شخص آخر... شخص لا أريد أن أعرفه.»

فقال: «حسناً، هذا حظ سيىء، لأن عليك أن تتعرفي إليّ.» ورفع الحقيبتين ووضعهما على السرير وهو يتابع قائلاً: «أظن علينا أن نفتح الأمتعة، ثم نفكر في تغيير ثيابنا للعشاء، فبنطلون الجينز قد يصلح للنهار ولكن ليس للمساء.»

وكانت على وشك أن ترد عليه بحدة، انها ستلبس ما تريد حين تريد، ولكنها كبحت نفسها. فالحق معه في هذا، فهي تتصرف كطفلة. ومن الآن فصاعداً عليها أن تتصرف كفتاة راشدة بالنسبة للأمور.

وفتح لوغان حقيبته، فأخرج ملابسه وأدوات الحلاقة بسرعة. وكانت كارين لا تزال تحاول فتح حقيبتها عندما دخل هو الحمام لكي يحلق ذقنه ويأخذ دوش.

كانت تعلم أنها قد أحضرت معها ملابس زائدة عن اللزوم، ولكنها أرادت أن تكون مستعدة لكل المناسبات. ودست في الدرج، خفية عن لوغان ثوبي المساء الرائعين اللذين كانت ابتاعتهما حين كانت الأحلام السعيدة تملؤها. ولكنها كانت تعلم أن عليها أن ترتدي أحدهما حيث أنها لم تكن تملك سواهما لهذه المناسبة.

صحيح أن لوغان قد كسب المعركة بالنسبة إلى الغرفة، ولكنه لن يستطيع أبداً أن يجبرها على النوم في السرير. وكان في الغرفة كرسيان مريحان بامكانها أن تضمهما معاً فيشكلا ما يشبه سريراً تنام فوقه، سيكون بحجمها ما يفي بالغرض على كل حال، وإن لم يكن هو السرير الذي توقعت أن تمضي فيه ليلة زفافها.

يا له من شهر عسل تهرب فيه من الألم إلى الغضب والاشمئزاز، وهذا ما سببه لها الرجل الذي تزوجت. حسناً، فليعلم أنها مخلوقة أقوى مما يظن.

الفصل الرابع

كان لوغان يرتدي قميصاً بلون التبن وبنطلون لونه بيج عندما خرج من الحمام، ما شعرت معه كارين بالارتياح. فهي لم تكن قد رأته يدخل معه ثيابه إلى الحمام.

قال وهو يحمل جاكتته دون ان يلقي نحوها نظرة: «سأنزل إلى القاعة. فأنا اشعر بحاجة إلى شراب ما. وقد طلبت عشاء للساعة الثامنة والنصف، فلا تتأخري.»

وقبل ان تجد الجواب، كان قد خرج، هذا إذا كان ما قاله يحتاج إلى جواب. وتحركت كارين ناهضة عن الكرسي حيث كانت تجلس، ثم ابتدأت تختار ملابس نظيفة من الدرج حيث وضعتها منذ دقائق، واخرجت معها ثوباً ازرق داكناً من الخزانة. وكانت ساقاها قد لوحتهما الشمس فبدتا سمراوين بما فيه الكفاية لكي تستغني بذلك عن ارتداء الجوارب التي لم تكن تحب ارتداءها خاصة في فصل الصيف.

كانت الخزانة مصنوعة من خشب السنديان كبقية الأثاث. وكان الزمن قد زاد من قتامة لون الخشب باعثاً منه مثل رائحة عسل النحل. في الأوقات العادية، كانت كارين ستستمتع جداً بغرفة كهذه صنعت بشكل الكوخ. ولكنها، حالياً لم تشعر نحو كل هذا، بأي اهتمام.

خرجت من الحمام حين ارتدت ملابسها، ووضعت الظلال على جفنيها والزينة على شفتيها وذلك بيد ثابتة ادهشتها. وسوّت من شعرها بالفرشاة. وبدا وجهها شاحباً كما رأت

ظلالاً خفيفة تحت عينيها، ولكنها لم تحاول ان تضع زينة اكثر من ذلك على وجهها. وتساءلت عما يدعوها إلى ذلك. فهي لا تريد ان تؤثر على اي انسان وخاصة لوغان.

كان جالساً على مقعد عالٍ يتحدث إلى الساقي، عندما وصلت هي الساعة الثامنة والربع. وكان المكان مزدحماً وليس ثمة مقعد خالٍ، وكان العديد من الحضور واقفين. ونهض لوغان من مكانه حين رآها تقترب، مقدماً إليها مقعده لتجلس. وجلست لأنها لو رفضت لبدا الأمر شاذاً إذ تقف بينما يجلس هو، وهي تشك في إمكان قبوله لهذا.

ووقف مشرفاً عليها يكاد يلتصق بها اكثر مما يستلزم. وكان عليها أن تعتبر ضيق المكان. وطلبت شراباً خفيفاً.

ونظر حوله قائلاً: «لم اتوقع رؤية المكان مزدحماً بهذا الشكل. كان من الأفضل لنا لو استأجرنا كوخاً.»

ولكن كارين كانت مسرورة لأن هذا الأمر لم يحدث، ذلك ان آخر شيء كانت تريده، هو ان تكون بمفردها معه. ووجدت العشاء في مطعم الفندق فاخراً رغم حالتها الذهنية السيئة.

وكان لوغان يبادلها الحديث ببساطة اثناء العشاء، وكانت تصرفاته طبيعية وكأن لم يحدث بينهما شيء في الساعات القليلة الماضية. ولكنه، كما فكرت كارين، لم تكن الأوهام تتملكه مثلها هي لكي يحطمه فقدانها.

ربما كان الزواج يبنى على التلاؤم فقط، لقد اوضح لها ذلك في غرفتهما. فلتفترض انها وضعت مشاعرها جانباً، مثله؟ وأخذت تتأمل في الأمر، لتصل إلى نتيجة هي ان تلك المشاعر لم يعد لها أهمية تذكر.

ودون اعتبار لأي شيء آخر، لاحظت ان لوغان مازال

اكثر الرجال الذين قابلتهم في حياتها، جاذبية وحيوية. فقد طغى حضوره على كل الرجال الموجودين في الغرفة. ولم تكن هي الوحيدة التي فكرت في هذا، فقد ادركت ذلك من نظرات النساء اللاتي كن يرمقنه من حول موائد الطعام.

ولم يكن يبدو عليه انتباه إلى اهتمام النساء به. فقد كان كل انتباهه منصباً عليها هي. وتفتحت مشاعرها بهذا، ولمعت عيناها، وتقوّس فمها، وتألقت بشرتها.

وعندما انتهى العشاء، كانت الساعة قد تجاوزت العاشرة وكان الظلام قد بدأ يرخي سدوله.

وعندما عادا إلى صالة الفندق، قال لوغان: «اظن الوقت مازال يبدو نهاراً.»

حين وصلا إلى غرفتهما، استدار لوغان نحوها ولامس شعرها بيده برقة وحنان.

ودون وعي منها، مدت ذراعيها حول عنقه وقد نسيت كل شيء آخر. انه زوجها... انه لها وهي له على الدوام، على الدوام، على الدوام.

وفجأة، عاد ذهنها يتحرك. ما الذي تفعله بعد كل ما كان بينهما وما قال لها وما قالت له؟ كيف تسمح له بهذا وكأنه لم يعد شيء يهمها بعد الآن؟ ولكن، مازال هناك ما يهمها.

وقالت وهي تصر بأسنانها: «ابتعد عني... ابتعد عني حالاً يا لوغان.»

ولكنه لم يرد عليها، وقد ساد الجمود ملامحه، وبدت عيناه سوداوين كالليل. وقال لها بخشونة: «ما هي اللعبة التي تظنين نفسك تقومين بها؟»

فحاولت الابتعاد عنه وهي تقول: «انها ليست لعبة.»

وأمسكها بكتفيها، فصرخت فيه قائلة: «ارفع يديك عني. لا اريدك ان تلمسني.»

فقال وهو يصر على اسنانه: «ولكنك اردت ذلك منذ لحظات، واكثر من ذلك!»

فقالت بوحشية: «لم أكن أدري ماذا أفعل.»

فقال: «وأنت الآن تدرين. أليس كذلك؟ انك كاذبة. كاذبة مسكينة.»

فقالت: «لقد كذبت عليّ. لقد اوقعتني في فخ هذا الزواج.»

واطلق آهة ثقيلة مفاجئة وتراخت قبضته عليها قليلاً وهو يقول: «إذا أنا لم أخبرك كل الحقيقة، فهذا لا يعد كذباً. انني اشعر نحوك باعزاز كبير يا كارين، ودوماً كان هذا شعوري نحوك.»

فكرت ورأسها يدور، بأنه لا يذكر الحب كما كانت تحلم على الدوام.

وقالت: «إذا كان كلامك صحيحاً، فدعني بمفردي.»

توتر فمه، ثم قال: «ان هذا يجعلني بين شقي الرحى.»

ولم تستطع كارين ان تفكر بتعقل، كانت تريد ان تثأر... تثأر منه لما سببّه لها، ومازال، من الألم. وأجابته قائلة: «هذا لا يهمني. فقط، دعني وحدي.»

وبقي جامداً لحظة، ثم قال بعد قليل: «كما تشائين.»

وبقيت كارين صامتة وقد ساد صمت رهيب، بينما كان هو يأخذ جاكتته ثم يتجه صوب الباب، لتشعر في هذه اللحظة فقط، بأن ليس هذا ما تريده ابداً. وحاولت ان تناديه ليعود، ولكن الكلمات التصقت في حلقها، وما لبث الأوان ان فات بعد ما سمعت إقفال الباب خلفه.

ومرّت عدة دقائق قبل ان ترغم نفسها أخيراً، على النهوض. اين ذهب لوغان، وهل تراه سيعود، لم يكن لديها فكرة عن ذلك. وحدثت نفسها انها لن تهتم على الاطلاق حتى ولو لم يعد ابداً. انها تكرهه ليس فقط لما فعل، وانما لأنه مازال يؤثر عليها بهذا الشكل.

وأنهت تغيير ملابسها بحركات آلية، فارتدت قميص نوم وهي تقاوم النظر إلى شكلها في المرآة الكبيرة وهي تمر بها في طريقها إلى الحمام. فهي لم تعد تهتم بمظهرها بعد الآن.

وكانت مستلقية في السرير وقد ادارت وجهها نحو النافذة، عندما عاد لوغان بعد ساعة او نحوها. فلم يتكلم كما أنه لم يشعل المصباح، بل دخل الحمام مباشرة.

وعاد من الحمام بعد خمس دقائق خالت انها لن تنتهي، لينسل بين الملاءات بحركة خفيفة، وهو يقول بصوت هادىء: «انني اعرف انك غير نائمة. ولهذا فسننتهي من هذا الأمر الآن هنا. انني سأتركك بمفردك. ولكن عليك ان تمثلي دورك بشكل يبعث على اقتناع أمي، فلا تشتبه بأن هناك شيئاً بيننا. هل تريدين ان تفعلي ذلك؟»

وكان صوتها لا يكاد يسمع وهي ترد عليه قائلة: «لأجلها هي... نعم.»

فقال: «هذا حسن.» ومضت برهة طويلة قبل ان يعود فيقول: «ليلة سعيدة.»

ولم تجب كارين. وبعد فترة بدت لها قصيرة. سمعت انفاسه تعمق وتنتظم، بينما بقيت هي في اتم يقظة، تحدّق بقلب كسير، في النجوم التي كانت تطل عليها من عليائها

من خلال النافذة. كان يجب ان تكون هذه الليلة هي الأروع في حياتها، ولكنها بدلاً من ذلك، لم تكن سوى زيف وتظاهر بالنوم منها، بينما لم يشعر هو من الاهتمام بما يكفي لكي يمنعه من الرقاد.

وعادا إلى قصر وايت غيتز عصر يوم الأحد الذي كان مشمساً رائعاً، فوجدا أمه هيلين بانيستر جالسة في شرفة مدخل المنزل.

واستقامت الأم في جلستها وهي تقول باسمة: «انني لم اتوقع عودتكما باكراً هكذا. ولكنها سرتني جداً. والأفضل ان تخبر السيدة لا وسون عن عودتكما لكي تحسب حسابكما للعشاء، يا لوغان.»

فرد عليها قائلا: «لقد سبق ورأتنا قادمين. والشاي في طريقه إلينا.» وسكت برهة يمعن النظر فيها ثم سألها: «كيف حالك أنت؟»

فقالت تطمئنه: «في أحسن حال.» وانتقل نظرها إلى وجه كارين بشيء من التشكك وكأنها رأت غير ما توقعت، ولكن كل ما قالته هو: «ان بشرتك تبدو سمراء اللون.»

فأجابت كارين: «لقد كنا نمشي كثيراً.» وكانت حاولت ان تتكلم ببساطة كما يفعل لوغان وهي تتابع قائلة: «فالمناظر هناك جميلة جداً.»

فعادت الأم إلى الابتسام مرة اخرى وهي تقول: «جميل ان تحبا، انتما الاثنين، الحركة في الحياة، فالتناقض قد يحدث التجاذب بين الشخصين، ولكن التماثل هو الذي يدوم في النهاية.»

فقال لوغان بجفاء: «هذا ليس صحيحاً دوماً. فقد كنت

انت وأبي غير متماثلين، ومع هذا فقد دام زواجكما.»

فضحكت أمه وهي تجيبه: «يوجد استثناء لكل قاعدة. فقد تعودنا، انا وأبوك، ان نتغلب على تناقضاتنا تلك.»

فقال: «وهذا ما لم نستطعه أنا وهو.»

فأجابت: «هذا لأنكما لم تحاولا الوصول إلى تسوية.» وبدت عليها خيبة الأمل وهي تقول: «على كل حال، فقد أصبح هذا في الماضي. والآن اصبحت الأملاك تحت تصرفك. هل مازلت مصمماً على تأسيس مدرسة لتعلم ركوب الخيل؟»

فأجاب: «نعم. ولكن مازال هنالك متسع من الوقت.»

فتدخلت كارين وقد شعرت بأن الوقت قد حان لكي تبدي شيئاً من الاهتمام: «طبعاً هذا سيكون في الصيف؟» وعندما رأت الأم وابنها ينظران إليها، عادت تضيف قائلة: «اعني انه عندما ينتهي فصل العطلات، فلن يعود الاقبال كبيراً على ذلك.»

فقال لوغان وقد بدا عليه السرور: «اننا لا نعني ركوب الأطفال على الأمهاد في الرمال. فليس بإمكان كل شخص ان يمتطي صهوة الحصان. وعشاق الفروسية لا يهتمون للفصول. ان عندنا مكاناً واسعاً لاصطبلات اخرى، وكذلك ساحة مسقوفة عندما يسوء الجوّ.»

وسألتها الأم: «هل تحسنين أنت الركوب؟»

فهزت كارين رأسها قائلة: «ان حالتي المادية لم تسمح لي قط بتلقي دروسي في الفروسية، حتى ولو كان هناك اصطبلات قريبة لتعليم ذلك.»

فقالت الأم: «حسناً، ليس ثمة سبب يمنعك من ذلك الآن. ان لوغان سيعلمك.»

فقال هو موافقاً على كلامها: «بالتأكيد.» ولكن لمعاناً خفيفاً لاح في عينيه الرماديتين وهو يستطرد قائلاً: «حالما أجد حصاناً مناسباً.»

وقررت كارين ان الوقت الآن غير مناسب للقول بأنها لا تهتم كثيراً بركوب الخيل. فهي لم تشعر قط برغبة في ذلك. ولم تجد سبباً يجعل تعلم ذلك شيئاً هاماً. ولكن هذا كان امراً يستوجب ان يتحدثا بشأنه، هي ولوغان، على انفراد.

وأحضرت السيدة لاوسون الشاي إلى الخارج. وكانت امرأة بشوش مليئة بالحيوية قد احبتها كارين من أول نظرة، وكانت تدير المنزل بكل انتظام، وكانت ترى اسيادها هم اهلها كلهم. أما انها كانت على علم بمرض السيدة بانيستر العضال، فهذا كان من الصعب معرفته، ولكن كارين كانت تشك في ذلك، ذلك انه، عدا عن والديها اللذين اقسما على كتمان الأمر، فلم يكن من المفروض ان يعلم بذلك أحد آخر. فقد كانت حماتها تكره ان يشعر أحد نحوها بالشفقة.

وقالت الأم بعد فترة: «لقد اخليت الغرفة الملاصقة لغرفتكما من الأثاث وذلك لكي تختارا طراز الأثاث الذي يعجبكما، فهي تصلح لأن تكون غرفة جلوس مريحة لكما أنتما الاثنين.»

فأجاب لوغان قبل ان تتمكن كارين من الكلام: «لا حاجة بنا إلى جناح مستقل في المنزل.»

فابتسمت والدته قائلة: «ربما هذا صحيح. ولكن يحسن دوماً أن يكون هناك مكان خاص يرتاح فيه الشخص احياناً، حتى ولو للتفرج على برنامج تلفزيوني مختلف عما يراه الآخرون.»

فرد قائلاً دون اكتراث لما تضمنته لهجته من اغاظة خفيفة: «لن يكون عندي وقت للتفرج على برامج التلفزيون، فإن امامي أموراً كثيرة للنظر فيها.»

فقالت بلهجة مرحة انما لا تخلو من معنى: «ارجو ان لا يكون ذلك إلى الحدّ الذي يجعلك تهمل زوجتك، فكل شيء له وقته.»

فقالت كارين وهي تجاهد لكي لا يبدو عليها الضيق: «انني لن أشعر بالاهمال يا سيدة بانيستر. فأنا متأكدة من انني سأجد الكثير مما يشغل وقتي.»

فبدا على وجه المرأة المسنة الامتعاض وهي تقول: «انني لا اتوقع منك ان تخاطبيني ب (يا أمي) ولكن كلمة (السيدة) هي رسمية قليلاً. والأفضل ان تخاطبيني باسمي هيلين.»

فابتسمت كارين وهي تقف قائلة: «لا بأس يا هيلين. أظن ان عليّ الذهاب لتنظيم امتعتي، إذا لم يكن لديك مانع.»

فقال لوغان باختصار: «لا تشغلي نفسك بامتعتي، فسأنظمها بنفسي فيما بعد.»

ولم تشأ كارين ان تخبره انها لم تفكر قط في لمس أشيائه وانما أومأت برأسها، فقط، صامتة.

كانت قد سبق وادركت ان الحياة بينهما ستكون صعبة، ولكنها لم تدرك مبلغ تلك الصعوبة حقاً. فقد كانت السيدة بانيستر قبلت بزواجها من ابنها معتقدة ان الحب قد سبق وربط بين ابنها وبين عروسه، ولا بد من ان تستمر في هذا الاعتقاد لكي تحتفظ بسكينة النفس اثناء الاسابيع المقبلة. لقد كانت ادعت بأنها في أحسن حال، ولكن منظرها يخالف

قولها هذا. فجلدها يكاد يكشف عما تحته. وعظام وجنتيها بالغة البروز.

لقد مرت الأيام القليلة الماضية بأسرع مما كانت كارين تتوقع. وكانت هناك أوقات تدفقت فيها عليها الذكريات. وليالٍ لم تكن محتملة، كانت تستلقي فيها على السرير المزدوج حيث يمتلكها الأرق ساعات طويلة. وكانت الافكار تراودها احياناً، في ان تلقي بكل شيء جانباً، وتتقبل أي شيء يمنحه لوغان لها. ولو أنه حاول، مرة أخرى، ان يقوم باتمام ذلك الزواج، فربما وجدها ترتمي بين ذراعيه. ولكنه التصق بكلمته. فهو قد حصل، بالزواج منها، على كل ما كان يريد، أما ما بقي فهو ليس من الأهمية بحيث يضيّع رقاده في سبيله.

لقد اصبحت تفكر الآن في أن رجلاً يمثل طبيعته، من غير المحتمل ان يبقى عازباً مدة طويلة. فإذا هو لم ينل الاكتفاء منها، فلا بد ان يبحث عن ذلك في مكان آخر. وقد يكون فعل هذا على أية حال، بعد ان استنفد الصبر والاحتمال.

وكانت الساعة لا تكاد تتعدى الخامسة عندما انهت تنظيم امتعتها. كانت أمها قد اعتادت دوماً، أن تقدم وجبة الطعام الرئيسية أيام الآحاد، في وقت الغداء، ووجبة الشاي في السادسة. وهذا يعني انهم كانوا يتناولونه، حالياً، في الحديقة مغتنمين فرصة جمال الجوّ. وكان هنالك هاتف بجانب السرير. فجلست على حافة السرير، وأخذت تدير الرقم، وقد شعرت فجأة بالشوق إلى سماع الأصوات التي ألفتها.

أجاب والدها على الهاتف وقال ببطء وكأنه لا يعرف

كيف يرحب بها: «إذن، فقد عدتما. كنا ظننا أنكما قد تطيلان وقت مكوثكما هناك بالنسبة إلى جمال الجوّ.»

فأجابت: «كان لوغان مضطراً للعودة فأمامه الكثير من العمل. كيف حالك وحال أمي؟»

أجاب: «لم تتغيّر عما عهدتها عليه، فالأمر كله كان غياب أيام قليلة.»

اغتصبت ضحكة وهي تقول: «من الممكن ان تحدث أمور كثيرة في مدة ايام قليلة.» وترددت قليلاً ثم أردفت تقول: «انكما لم تسامحاني بعد، أليس كذلك؟»

فأجاب: «ليس هناك شيء اسمه المسامحة. فنحن نحبك ونفتقدك. ونحن نبذل جهدنا لكي نتعود على فكرة خسارتنا لك لكي تذهبي إلى رجل لا نعرفه.»

فقالت: «ولكنك لم تخسرني. فأنا اسكن هنا في نهاية الطريق.»

فقال: «هذا بالنسبة للأميال فقط... متى نراك؟»

أجابت: «غداً. فنحن وصلنا هذا النهار، ومن غير المناسب أن اترك السيدة بانيستر هذه الليلة.»

وأضافت بسرعة: «كيف وجدتما حفلة العشاء التي اقامتها السيدة بانيستر؟»

فأجاب: «لقد كانت رائعة طبعاً، مع ان الحاضرين لم يكونوا من نوع الناس الذين نألفهم في الحقيقة.»

وفكرت كارين، بعد ان وضعت سماعة الهاتف، بأنها هي كذلك لا تألف هذا النوع من الناس، خصوصاً إذا كانوا مثل مارغوت. ولحسن الحظ أن لوغان سيكون مشغولاً جداً عن القيام بمناسبات اجتماعية كثيرة، فالذي تعانيه هي فيه الكفاية.

لم يكن بإمكانها ان تبقى منفردة في هذه الغرفة طيلة الثلاث ساعات التي بقيت لموعد العشاء، وكان لوغان، قبل العرس، قد اعطاها دليلاً سياحياً للمزرعة لكي تجول فيها، ولكنها لم تشعر بالرغبة في التجوال في تلك الأراضي الشاسعة بمفردها وبدا لها من غير المحتمل ان تشعر يوماً، بأن قصر وايت غيتز هو منزلها. والأفضل ان لا تشعر بذلك على كل حال. لأنه بعد وفاة والدته، فإن لوغان سيبدأ على الفور، باتخاذ الخطوات الضرورية لوضع حد لهذا الزواج الفاشل.

وعندما نزلت، في النهاية، إلى الطابق الأسفل، وجدت السيدة بانيستر تجلس بمفردها، وقد ذهب لوغان إلى الاصطبلات.

وقالت هيلين: «إن عليك ان تتعوّدي على عدم رؤيته كثيراً اثناء النهار. طبعاً إلا إذا ابتدأت انت نفسك تهتمين بأمور الخيل. ان لديّ شعوراً بأنك لا تهتمين بالخيل مطلقاً.»

فاعترفت كارين قائلة: «ذلك لأنني لا اعرف شيئاً عنها، ما عدا انها حيوان ضخم جداً وعالية عن الأرض.»

فقالت المرأة: «لا بد انك امتطيت مرة صهوة حصان.»

فأجابت كارين: «لقد احضرني لوغان إلى هنا على صهوة حصان، وذلك في أول زيارة لي إلى هنا.»

فابتسمت السيدة بانيستر وهي تقول: «طبعاً يا له من موقف شاعري.»

وفكرت كارين في ان لوغان لم يكن يشعر بأية شاعرية اثناء المرتين اللتين حملها فيهما على ظهر الحصان.

وقالت ساخرة: «فارسي يمتطي صهوة حصان ابيض. ما

عدا انه كان مختلفاً، أعني الحصان. ذلك ان كون فارسي يمتطي صهوة حصان بنيّ، لا يعطي نفس الشعور.»

وبدت في عينين حماتها نظرة سريعة حادة، وكأنما لاحظت في لهجة كارين شيئاً غير طبيعي، فسألتها بعد لحظة: «هل كل شيء على ما يرام بينكما انتما الاثنين؟»

فتمالكت كارين نفسها وهي تقول: «طبعاً؟ لِمَ هذا السؤال؟»

فأجابت: «انك فقط، بدوت مختلفة... هذا هو كل شيء.»

فقالت كارين: «حسناً، اظنني كذلك...» وسكتت برهة تختار كلماتها بعناية، ثم استطردت تقول: «ذلك انني امرأة متزوجة الآن.»

فقالت هيلين بمثل لهجتها: «وذات مسؤوليات. على فكرة، جاءتك دعوة إلى حفلة عشاء غداً مساء. لقد استلمتها نيابة عنك هذا الصباح.»

وتلاشت ابتسامة كارين تماماً وهي تسألها: «ممن الدعوة؟»

فأجابت هيلين بانيستر: «من مارغوت اشلي. وهي لن تكون الوحيدة فإن كثيرين يريدون ان يتعرفوا إليك.»

فقالت كارين: «انني لم اتعود قط على حفلات العشاء.» وحاولت ان تخمد لهجة الذعر في صوتها وهي تتابع قائلة: «فأنا لن اعرف ماذا أقول لكل شخص.»

فقالت هيلين تطمئنها: «ليس عليك إلا أن تتركي نفسك على سجيتها، وسرعان ما يموت الفضول. وعلى كل حال فأنا اشك في ان لوغان سيقبل دعوة او اثنتين على الأكثر. فهو لم يكن ابداً ليهتم بمثل هذه المناسبات الاجتماعية.»

وتمنت كارين أن يظل على هذه العادة. وشعرت بشوق حاد مفاجيء إلى نمط حياتها السابقة البسيط غير المعقد رغم كونه مملاً بعض الشيء. ربما ليس بمثل ذلك النمط سمة، ولكن ليس فيه انحطاط أيضاً مثل ذلك الذي عرفته مؤخراً.

وقالت هيلين: «إذا كنت لا تمانعين في البقاء بمفردك، اظن ان عليّ ان اذهب لارتاح في غرفتي ساعة قبل موعد العشاء. فأنا اشعر بشيء من التعب.»

فأجابت كارين بسرعة تطمئنها: «ليس لديّ مانع على الاطلاق. وسأكون في أحسن حال.»

فقالت المرأة: «إذا احتجت أي شيء، اطلبيه من السيدة لاوسون. وفي الواقع، من المستحسن ان تبدإي بالتدرب على كونك سيدة هذا المنزل منذ الآن. ان هذا لن يأخذ وقتاً طويلاً. إلى اللقاء عند العشاء.»

ولم تجب كارين لأنها، ببساطة لم تستطع أن تجد ما تقوله سوى كلمة شكراً، والتي لا تناسب هذا الوضع. إنها لا تريد ان تكون سيدة هذا المنزل. خصوصاً في مثل ظروفها هذه.

كان لهيلين بانيستر من الشجاعة اكثر مما كانت هي ستشعر به لو كانت في مثل وضعها، وفكرت في متاعبها التي بدت تافهة امام ما تعانيه هذه المرأة. ربما لم يكن هذا الزواج بمثل ما كانت تحلم به، ولكنه كل ما تملكه. وترك لوغان بعيداً عنها لن يحسن من الوضع. ان بإمكانها على الأقل، ان تجعله يحبها مرة أخرى إذا هي وجهت عنايتها لذلك. وهذا ما عليها ان تبدأ به.

وجلست على الشرفة امام المنزل حتى مرت الساعة السابعة، تنتظر عودة لوغان، وعندما ملت من الانتظار صعدت إلى غرفتها لتجده قد عاد واغتسل وغير ملابسه.

وقال متهكماً: «لقد ابتدأت اظن انك ربما هربت.»

فردت بحدة: «هل انت متأكد من انك لا تعني كلمة ارجو؟»

فأجاب قائلاً: «ربما كان هذا هو الأفضل من بعض النواحي. ولكن الأمر ليس بهذه البساطة لسوء الحظ.»

فقالت بصوت خافت: «انني اعلم هذا. ولكنني لا اريد القيام بشيء قد يؤذي والدتك.» كانت تريد ان تصلح الأمور بينها وبينه، ولكنها لم تكن تدري كيف تبدأ.

فأجاب: «اظن هذا شيئاً مهماً.» وبدا صوته متعباً بشكل مفاجيء، وهو يستطرد قائلاً: «إذا كنت تحبين أن تشربي القهوة قبل العشاء، فتعالي إلى المكتبة عندما تكونين جاهزة.»

وفتشت كارين في ذهنها عن شيء تقوله فلم تجد. وخرج من الغرفة. ان رأب الصدع بينهما سيأخذ اكثر من مجرد الكلام، على كل حال، وفكرت وهي تلوي شفتيها في ما إذا كانت قادرة على اجراء مزيد من التقارب بينهما. ذلك ان كون لوغان لم يحاول ابداً ان يهدم الحواجز بينهما، يشير إلى فقدانه الاهتمام تماماً بهذه الناحية.

عند الساعة السابعة والنصف، نزلت إلى غرفة المكتبة وهي ترتدي تنورة بيضاء وقميصاً بنياً فاتح اللون. ووجدت حماتها، ولكن لوغان لم يكن هناك.

وقالت هيلين بانيستر تجيب على السؤال الذي بدا في وجه كارين: «انه يقوم باتصال هاتفي في المكتب. تعالي

واجلسي بجانبي يا عزيزتي. وسيحضر لك لوغان شراباً عندما يعود.»

وجلست كارين حيث كانت اشعة شمس الأصيل الذهبية تغمرها، وهي تشعر بالغربة.

لقد كانت هذه الغرفة رائعة الجمال مثل أي مكان آخر في هذا المنزل. ولكن الجدران المبطنة بالكتب بدت وكأنها تخنق منها الأنفاس، وتسجنها في عالم لم تعرفه من قبل ولا اهتمت بمعرفته. وعندما عاد لوغان، بدا الأمر اسوأ. فقد أحست بأنهما اسرة متقاربة، أما هي فدخيلة متطفلة.

وسألته أمه: «هل تحدثت إلى مارغوت؟»

فأجاب: «نعم. يبدو أنها كانت تريد ان تطمئن إلى انها الأولى في القيام بواجب استضافتنا في حفلتها تلك. وكما ظهر من لهجتها سيكون الجميع هناك ايضاً.»

وتهالك على الكرسي أمام الأريكة التي كانت تجلس عليها كارين ووالدته، وبدت في عينيه نظرة غامضة وهو ينظر إلى وجهها قائلاً: «لقد تلقينا دعوة إلى العشاء غداً مساء.»

فأجابت كارين: «نعم. اعرف هذا.» ولم تعرف ما تقول بعد ذلك. ولكنها عادت فسألته: «هل سيرتدي المدعوون ملابس رسمية؟»

فأجاب بجفاء: «نعم. فإن مارغوت تؤمن دوماً باتباع الأصول.»

فقالت أمه: «سمعت أنها وزوجها دنكان في طريقهما إلى الطلاق. وهذا شيء مؤسف إذا كان صحيحاً، مع انهما لم يكونا متلائمين قط. كان هذا هو رأيي على الدوام.»

فقال لوغان: «ان الشائعات تضخم من الأمور. كل ما في الأمر انهما فقط يجتازان محنة سيئة.»

وتساءلت كارين عمن تراه قد أخبره بهذا عن مارغوت وزوجها. هل هو دنكان أم مارغوت نفسها؟ ولكن، لقد دام زواج دنكان أشلي فترة قبل ان تقع المحنة السيئة. بينما زواجها هي قد ابتدأ بالمحنة.

الفصل الخامس

لم يكن العشاء العائلي في قصر وايت غيتز يستدعي ارتداء الملابس الرسمية، ولكنه مع هذا مختلف جداً عما اعتادته كارين في منزلها، ذلك أن أمها كانت من النادر أن تهتم بوضع العشاء في غرفة الطعام الصغيرة، وكانت تفضل أن يأكلوا في المطبخ، ولم تكن كارين قد فكرت حتى الآن بذلك، وعندما وقع نظرها على الفضيات اللامعة، والبلور المتألق والأثاث الفاخر المصنوع من خشب الماهوغني، اعترفت بأن العيش في مثل هذا الجو الراقي المرفّه، له ناحيته الايجابية حقاً.

وكانت مساهمتها في الأحاديث التي استمرت حول المائدة أكثر من ساعة، كانت مساهمتها تلك قليلة. ولم يكن هذا لأنها لا تعرف كيف تشارك بالحديث، ولكن لأن أكثر الأحاديث تركزت حول أعمال المزرعة، ربما كان الطريق إلى قلوب أكثر الرجال، هو معدتهم كما يقولون، ولكن، كما فكرت كارين ربما كانت الخيل مفضلة، عند لوغان، على الطعام. وكان عدم خبرتها واهتمامها بالحيوانات يشكل مسماراً آخر في نعش حياتها الزوجية.

ولكن، قد تكتسب الخبرة والاهتمام مع الوقت بطبيعة الحال، ولكن الموضوع هو، هل هي تريد أن تقوم بذلك على ضوء ما عرفته؟ ذلك أن لوغان لا يحبها، بصرف النظر عن انكاره لهذا. فقد كانت كما سبق واعترف لوغان، بأنها

الخيار الوحيد أمامه، وما كان يعنيه حقاً أنها كانت هي الوحيدة التي تتقبل سرعته في الزواج.

وانسحبت الأم إلى غرفتها في الساعة العاشرة، وما أن ذهبت حتى أعلن لوغان عن نيته في القيام بتفقد الاصطبلات لآخر مرة لهذه الليلة. ولم يقترح عليها أن تذهب معه، كما أنها لم تحاول أن تفرض نفسها عليه.

وعندما أصبحت بمفردها في غرفة الجلوس، أخذت تقلب في بعض المجلات، ولكنها لم تستطع أن تركز ذهنها على ما بين يديها. كانت متأكدة من أن لوغان لم يكن بحاجة إلى تفقد الاصطبلات، فقد كان هناك الحارس الليلي. وتساءلت عما إذا كان هذا تطرّفاً منه في الغيرة على مصلحة الخيول، أم مجرد رغبة في العزلة والانفراد؟

وازدادت كآبتها، لا يمكن لهما أن يستمرا بهذا الشكل. فهذا الوضع بالغ الصعوبة، ولكن ماذا بامكانها أن تفعل؟ فهي إذا قامت بخطوة لتجديد علاقتهما، معنى هذا أن البقية ليست بذات أهمية. فهي تريد الحب وليس مجرد الأرضاء الذاتي.

كانت في السرير وقد جافاها النوم عندما عاد أخيراً. واتبع نفس النظام الذي اعتادته منه في الليالي الماضية، إذ يذهب إلى الحمام، ليبدل ملابسه، ثم يخرج منه بعد عشر دقائق وقد اغتسل وفاحت منه رائحة معجون الأسنان.

وكانت تلازم دوماً جانب السرير، وقد أولته ظهرها وفي الصباح كان دوماً يستيقظ قبلها. وهذه الليلة استلقت كعادتها في الليالي الماضية، وهي ترتجف بينما انسلّ هو بين الأغطية. كانت تتوق إلى أن تلتفت إليه، ولكن كرامتها كانت تأبى عليها ذلك.

وطال الصمت الذي طال، من صبرها. لقد شعرت بأنه لم يكن نائماً، وذلك من تنفسه.

وأخيراً قالت بلهجة لاذعة: «من المؤسف انك لم تعلم قبل الآن بأن زواج مارغوت هو في طريق التصدع. وإلا لكنت عدت إليها.»

ولم تسمع منه جواباً لمدة طويلة حتى ابتدأت تظنه نائماً. ولكنه عندما تكلم كان صوته عادياً تماماً وهو يجيب: «وما الذي جعلك تظنين أنني أريد العودة إليها؟»

فأجابت: «كل شيء.»

فأصرّ عليها بقوله: «مثلاً؟»

فقالت: «إنك، مثلاً توّاق إلى رؤيتها مرة أخرى.»

فقال: «سيكون هناك أناس عديدون غداً مساء. وأنا أعرف زوجها منذ سنين عديدة.»

فقالت: «وهو الرجل الذي وضعته هي في مكانك؟»

فقال: «ليس الأمر بهذا الشكل. فكما كنت أخبرتك من قبل، لم يكن بيننا أيّ عهود.»

فقالت: «يبدو أنها كانت تظن أن ثمة عهوداً.»

فأجاب: «إنها إذن مخطئة، وجواباً على ما سبق وقلته، الطلاق رغم أنه قد أصبح سهلاً هذه الأيام، إلا انه لن يتم بالسرعة التي كنت أنا بحاجة إليها.»

فقالت: «إذا كان الطلاق بهذه السهولة، فلا شيء يمنعك من أن تطلقني الآن بعد ان نلت مرادك. إنني لن أعارض في ذلك.» وكانت المرارة تنضح من كلماتها وهي تقول ذلك.

فأجاب: «من سوء الحظ أن علينا الانتظار، ولهذا سأنسى الأمر حالياً.» وبدا في لهجته التعب والضجر وهو يقول: «والآن، هيا إلى النوم.»

فقالت وقد بلغ بها السخط حداً لم تنتبه معه إلى إدراك مبلغ عدم المنطق في كلامها: «نعم، بالتأكيد، فقط (هيا إلى النوم كالفتيات الصغيرات الطيبات) فإذا كنت قد نسيت فأنا أذكّرك بأنني، منذ سنتين لم أعد فتاة صغيرة طيبة.»

ولم يتحرك، وشعرت بالجوّ مشحوناً بالتوتر. وأخيراً سألها بصوت مثقل بالمعاني: «أتراك تحاولين استفزازي للقيام بعمل ما؟»

وأخذت كارين تزدرد ريقها الذي جف فجأة، هل تراها كانت تفعل ذلك حقاً؟

وقالت: «لا تكن سخيفاً.»

فوضع يده على كتفها وأدارها على ظهرها. وكان هو قد نهض متكئاً على ذراعه وعيناه تتألقان.

قال بلهجة أحالت غضبه المكبوت إلى عاطفة: «هل هذا هو ما تسعين إليه؟»

وسقطت حواجز الكبرياء التي كانت قد أقامتها بينهما. فسواء كان يحبها أم لا، فهي تريده.

وعندما استيقظت في الصباح، كان ضوء النهار يغمر الغرفة. وبقي ذهنها مغلقاً لحظة، لتتدفق عليها ذكرى ما حدث ليلة أمس، مرة واحدة.

وأرغمت نفسها على أن تستدير على جانبها الآخر وقد تمزقت مشاعرها بين الارتياح والشعور بخيبة الأمل، لتجد أن مكان لوغان كان فارغاً، وكان الوقت بعد السابعة بقليل فقط. ومن البرودة في مكانه تكهنت بأنه قد ترك الفراش منذ بعض الوقت. ولا شك أنه الآن في الاصطبلات.

وتساءلت كم كانت تعني الليلة الماضية بالنسبة إليه، لكي ينهض ويتركها هكذا بكل بساطة؟

وهبطت إلى غرفة الافطار مرتدية بنطلون جينز وقميصاً مقفلاً، وكانت الساعة الثامنة، لتجد هيلين بانيستر جالسة بمفردها.

قالت وقد تكهنت بسؤال كارين الذي لم تنطق به: «إن لوغان في الاصطبلات. وقد سبق وتناول فطوره.» وابتسمت وهي تقول: «لا بد انك كنت مستغرقة في النوم حتى انك لم تسمعيه وهو يخرج.»

وقالت كارين بمرح: «لا بد انني كنت كذلك.»

وسألتها هيلين وهي تتخذ مقعدها إلى المائدة وتمدّ يدها إلى ابريق القهوة: «ما هو البرنامج لهذا النهار؟ ان لوغان سيكون مشغولاً في إعادة بناء أماكن كثيرة.»

فأجابت كارين: «لقد فكرت في زيارة أهلي. أنا أدرك ان غيابي عنهم لم يدم سوى أيام قلائل ولكن...» وسكتت وهي ترفع كتفيها بإشارة اعتذار متابعة قولها: «حسناً، ما زلت أشعر بالاستغراب لوجودي هنا بدلاً من هناك.»

فقالت هيلين بانيستر: «هذا طبيعي تماماً ومن حسن الحظ ان والديك يعيشان قريبين من هنا، إذ بامكانك ان تكوني عندهما في أيّ وقت تشائين. هل تحسنين قيادة السيارات؟»

فأجابت: «نعم، أحسن ذلك.»

فعادت تقول: «هذا حسن، يمكنك أن تأخذي سيارتي الروفر فهي متوقفة في الكاراج منذ أكثر من شهرين منذ أن تخليت عن القيادة. وفي الحقيقة لا يوجد سبب يمنع من أن أنقلها إلى اسمك، فأنا لن أستعملها بعد الآن.»

ولم يكن في صوتها ذرة من الحزن على نفسها وهي تقول ذلك، فقد كانت تقرّر حقيقة واقعة بكل بساطة. فحماتها هي أشجع امرأة رأتها في حياتها. وكانت كارين تفكر في هذا محاولة أن لا تدع مشاعرها تبدو على ملامحها. وكان عليها أن تقبل ما قدمته لها، رغم نفورها من ذلك. لأن رفضها يعني أنها تقذف بكرمها ذاك في وجهها.

وقالت بصوت هادىء: «أشكرك.»

فأجابت حماتها بمثل هدوئها: «وأشكرك أنا كذلك، لقد أحسن لوغان الاختيار.»

وفكرت كارين في أن لوغان إنما اتخذ الاختيار الوحيد الذي وجده. ولكنها لم تنطق بهذه الكلمات، لأن هيلين كانت تعلم سبب زواج ابنها. أما الذي لا يجب أن تعلمه، فهو الذي ينقص هذا الزواج.

وقالت تسأل حماتها: «إذا كان عليّ أن أرتدي ملابس خاصة لحفلة الليلة، فماذا يحسن أن أرتدي؟»

فأجابت هذه: «آه، إن ثوب سهرة هو مناسب تماماً. لقد أصبح ارتداء الملابس الطويلة نادراً هذه الأيام، إلا إذا كانت المناسبة خاصة جداً.»

فعضت كارين شفتها قائلة: «لا أظن ان ما عندي من ملابس يصلح لذلك.»

فقالت حماتها: «بإمكانك دوماً أن تذهبي بالسيارة إلى نورويتش لشراء ثوب. وبامكاني أن أخبرك أين تجدين المتجر الذي أتعامل معه أنا في المناسبات. وستجدين عندهم حاجتك بالتأكيد.»

فسألتها كارين: «كم تظنين سيكون ثمنه؟»

فأجابت: «هذا آخر شيء عليك أن تهتمي به. أخبريهم فقط من أنت وهم سيرسلون الفاتورة. والأفضل أن تقومي بذلك هذا الصباح بدلاً من ارجائه إلى بعد الظهر، وأنا سأتصل بالمتجر هاتفياً وأخبرهم أنك قادمة إليهم.»

كانت كارين تعلم أنها بوصفها زوجة لوغان، ودون دخل خاص بها، فإن من حقها عليه أن يدفع عنها ثمن ملابسها، ولكنها مع هذا كانت تشعر بنفور من أن تستغله، خصوصاً من دون علمه.

وقالت هيلين: «يجب على لوغان أن يضع لك حساباً في المصرف لمصروفك الخاص. وسأتكلم معه في ذلك.»

فأجابت كارين: «كلا، من الأفضل ألا تفعلي ذلك.»

فنظرت إليها حماتها بدهشة قائلة: «هذا شيء طبيعي، يا عزيزتي. وأنا متأكدة من أن لوغان قد سبق وقام بذلك، هذا إذا لم يكن من الانشغال بحيث ينسى. فليس ثمة زوجة تطلب نقوداً من زوجها كلما أرادت أن تشتري شيئاً. فالمطلوب منه أن يوفر لك كل هذا، تماماً كما هو مطلوب منه أن يدفع تكاليف كل شيء آخر.»

وابتسمت كارين وهي تقول: «إننا من عالمين مختلفين. فإن أبي لم يكن من اليسر قط بحيث يوفر لأمي مصروفاً خاصاً بها. وهذا لا يعني أنه كان يدعها تحتاج شيئاً، وكذلك أنا.»

فأجابت المرأة: «إنني متأكدة من أنك لم تكوني تحتاجين إلى شيء. وقد رأيت أنا في والدك رجلاً يعرف المسؤولية تماماً. ولكن عليك أن تعوّدي نفسك على

طريقتنا في الحياة. لقد طلبت من السيدة لاوسون أن تقدّم إليك فطوراً كاملاً. أرجو أن تكون قد قامت بذلك.»

وكانت كارين فعلاً، شديدة الجوع وهي ترد بالإيجاب، ولما كانت مشغولة الذهن بما سترتديه هذه الليلة، بينما لوغان غير موجود لكي يسمح لها بالخروج لذلك، لم يكن أمامها سوى أن تمتثل لما أشارت به عليها حماتها، فتخرج بالسيارة إلى نورويتش.

وكان من الضروري أن تستبدل البنطلون والقميص، بشيء أفضل قبل أن تذهب. وهكذا وقفت أمام خزانتها تحاول أن تختار ما تلبس، وإذا بها تجفل دهشة وهي ترى لوغان يدخل عليها الغرفة.

وقال: «لقد تمزق حذاء الركوب، فعدت لاستبداله.» ورفع حاجبيه تهكماً وهو يرى وجهها المتضرج خجلاً وارتباكها الكلي، وتابع يقول: «ولماذا حمرة الخجل؟ ألست زوجك؟»

فأجابت محاولة تمالك نفسها من هذا الشعور السخيف بالحرج: «لم أكن أتوقع عودتك، ليس عندي ما ألبسه هذه الليلة، ولهذا اقترحت عليّ أمك أن أذهب إلى نورويتش لأبتاع ثوباً.»

فقال: «أرجو أن لا تذهبي بهذا الشكل.»

فقالت بحدة: «لقد كنت أنوي استبدال ملابسي.» وعضت شفتها عندما تابع يقول متهكماً: «آه، لقد ارتحت الآن.»

فعادت تقول بعد ان اتجه إلى قسم خزائن الثياب الخاص به: «هل لا بأس في ذلك إذن؟ أعني بالنسبة إلى شراء ثوب جديد؟ لا أظنني أملك نقوداً كافية لشراء مثل الثوب الذي تحدثت عنه أمك.»

فقال بغلظة: «ليس من الضروري أن تسأليني، لقد سبق وفتحت لك حساباً في المصرف، فاشتري ما تشائين عندما تشائين.»

فقالت: «لم أكن أعلم بهذا. وأنا لم أتعوّد على أن آخذ شيئاً كهبة.»

فاستقام في وقفته وهو يحمل حذاء الركوب في يده، وقال جامد الوجه: «كلا بالطبع، ليس لك أن تفعلي ذلك، وكان عليّ أن أخبرك. إن دفتر الشيكات على منضدة الزينة مع بطاقة المصرف وكذلك قدمت طلباً لبطاقة شراء الذهب أيضاً.»

فقالت: «إنك... كريم جداً.» ولم تعرف بالضبط ما الذي عليها أن تقوله. لو ان علاقتهما طبيعية، لتقدمت منه وأبدت له شكرها بشكل آخر، ولكنها لم تستطع أن تقوم بشيء كهذا.

ولوى شفتيه قائلاً: «إن معظم النساء يعتبرن ذلك حقاً طبيعياً لهن.»

فقالت: «انهن فقط نوع النساء الذي اعتدته أنت.»

فقال: «هذا صحيح، لم يخطر ببالي مطلقاً من قبل أن هناك نوعاً آخر.»

فقالت: «لقد حان الوقت إذن لكي تعرف.» وكان صوتها قد أصبح حاداً وهي تتابع قائلة: «لماذا أنت تبدو هكذا، يا لوغان؟ فبعد الليلة الماضية...» وسكتت، وقد احمر وجهها مرة أخرى عندما نظرت في عينيه.

فأجاب بصراحة: «لقد حصلت الليلة الماضية، وهناك كل ما يجعلنا نكرّر ذلك مرة أخرى، فقط لا أريدك أن تقرنيه مع شيء آخر مما تسمينه الحب. فأنت لا تحبينني الآن أكثر مما كنت تحبينني منذ سنتين.»

وجعلتها كرامتها تقول: «هذا يعني أننا متماثلان إذن؟»

فأومأ برأسه قائلاً: «يبدو ذلك. ولكن هناك تعويضاً عن ذلك، وهو أنك عندما تتعلمين كيف تعطين كما تأخذين، يكون بقاءك عنذ ذاك في المنزل عن استحقاق.»

فسألته: «وما معنى كلامك هذا؟»

فأجاب: «أعني أنك لا تردّين بالمثل. وهذا فرق كبير جداً.»

وضغط الألم نفسها، ولكنها غطت ذلك بالتهكم وهي تقول: «إنني آسفة إذ لم استطع أن أكون كما تعوّدت أنت. ربما عليّ أن أسأل مارغوت النصيحة.»

فقال دون أن يتأثر: «إنها لا تعرف شيئاً عن ذلك.»

فحدقت كارين فيه بصمت شاعرة بتوتر مفاجيء في عضلات معدتها، وهو ينظر إليها وقد لانت ملامحه إذ يقول: «ربما كنت أطلب الكثير في وقت قصير. هيا استمتعي برحلة التسوّق الآن.»

وأخذت تنظر إليه وهو يخرج من الباب، وقد أثقل الهم قلبها، إنها لم تكن جاهلة تماماً بما يعنيه بقوله ذاك. ولكن، إذا كانت لم تستطع أن تحمله على حبها، فبامكانها، على الأقل أن تحمله على الاهتمام بها. إنها تفكر في هذا دون اعتبار لما هو مفقود من علاقتهما، ذلك أنها لم تستطع أن تفكر في إمكان الانفصال عنه الآن.

وكانت السماء ملبدة بالغيوم هذا النهار، وذلك للمرة الأولى منذ اسبوع مع أن المطر لم يكن متوقعاً. وكانت هيلين بانيستر قد طلبت من بيل لاوسون أن يخرج السيارة من المرآب ويوقفها عند الباب لأجل كارين. ولم يكن عمر

السيارة يزيد عن العام الواحد، كما كان طرازها هو الأكبر بين مختلف أنواع سيارات الروفر.

كانت السيارة في القمة من كل شيء وتتوفر فيها كل أسباب الرفاهية. ولم تكد كارين تصدق أن مثل هذه السيارة ستكون لها. ولكن ذلك لم يكن يعني أنها لم تكن تفضل لو أن حماتها في حالة صحية طيبة لكي تقودها بنفسها، بالطبع.

وكانت مدينة نورويتش مزدحمة، واجتازت النهر عند جسر فاوندري حيث وجدت مكاناً توقف فيه السيارة. واتبعت الاتجاه الذي كانت حماتها أشارت لها إليه، لتجد شارعاً ضيقاً وجدت فيه المتجر المقصود على بعد عدة دقائق.

كان المتجر صغيراً ذا نوافذ منحنية كتب اسمه مارسيل على لافتة فوق الباب، وكان أول ما تبادر إلى ذهن كارين وهي تراه، انه غالٍ ومختص بالطبقة الراقية.

ودخلت المكان، شاعرة بالنقص في الطقم الرخيص، رغم أناقته، الذي كانت ترتديه ولم يدهشها أن تلاحظ إمارات العجرفة في وجوه تلك البائعات الأنيقات اللاتي ظهرن من خلفية المكان لدى سماعهن رنين جرس الباب الخافت وهو يفتح.

وقالت كارين بسرعة: «أعتقد أن السيدة بانيستر اتصلت بكم هاتفياً بشأني.» وسرعان ما تغيّرت ملامح البائعة وهي تهتف: «طبعاً! إنه بشأن ثوب سهرة، أليس كذلك؟» وألقت نظرة خبيرة على قوام كارين الرشيق وهي تقول: «اعتقد ان رقم القياس هو عشرة.» والتوت شفتاها وهي تقول: «لا أظن أن عندنا الكثير من هذا القياس، فإن أكثر عميلاتي

ذوات قياس أربعة عشر فما فوق. على كل حال، فأنا متأكدة من أن بامكاني أن أجد لك شيئاً مناسباً.»

ولكن كارين لم تكن متأكدة من ذلك على الاطلاق وهي تحدق في نفسها بهذا الثوب في المرآة بعد عدة دقائق. فقد كان مصنوعاً من قماش مطرز بلون العاج. وكان الثوب واسعاً، غير ملتصق بالجسم تماماً وينزل طوله إلى ما تحت الركبتين. وكان مرفقاً به حذاء من الجلد العاجيّ اللون مزيناً باللؤلؤ وكذلك حقيبة يد مماثلة لا تكاد تتسع لأكثر من منديل يد وقلم حمرة الشفاه، وأشياء أخرى صغيرة. وكان كل شيء في القمة من جمال الذوق، ولكن هل كان حقاً يناسب شخصيتها؟ فقد كانت في الثامنة عشرة وليس في الثلاثين.

ولم يذكر الثمن، ولم تجرؤ كارين على السؤال كما انها لم تملك الشجاعة على التصريح بما كان يدور في ذهنها. ذلك أن متجر مارسيل لم يكن يحوي شيئاً آخر بقياسها، فإما هذا الثوب وإما لا شيء آخر.

عندما وضع كل شيء في علب سوداء مذهبة، عادت إلى السيارة، وهي تفكر باشمئزاز، في ان هذه الليلة ستكون محنة بالنسبة إليها. ووضعت العلب في صندوق السيارة. إن هذا الثوب سيذهب بالقليل الذي بقي لديها من شخصيتها الحقيقة.

وكانت قد احضرت معها دفتر الشيكات، فلو كانت تملك ذرة من الشجاعة لاستدارت إلى اقرب متجر نسائي واشترت شيئاً اقرب إلى أن يحفظ لها صورتها الحقيقة التي تعرفها عن نفسها.

ولكنها لم تفعل ذلك لافتقارها إلى تلك الشجاعة. عليها أن تحقق المنتظر منها. ولماذا إذن، ارسلتها السيدة بانيستر إلى ذلك المتجر لو لم تكن تشعر بأن ذوقها في اللباس أقل من أن يتلاءم مع تلك المناسبة؟

وعندما وقع بصرها على صورتها في زجاج نافذة السيارة، انتبهت إلى أن عليها أن تصفف شعرها كذلك. ولن تكون هناك صعوبة في العثور على صالة لتصفيف الشعر يقبلها دون موعد مسبق، صباح يوم الاثنين.

وقد ساعدها الحظ لدى المحاولة الثانية، ولو ان ذلك كان بسبب إلغاء موعد كما اخبرتها موظفة الاستقبال، وكان المزيّن امرأة لم تعجبها طراز شعرها الحالي، قائلة بأنه لا يناسب وجهها.

وهكذا سمحت لها بأن تصفف شعرها حسب ذوقها، ما جعلها لا تكاد تعرف نفسها في النهاية. فقد كان مسرحاً إلى الخلف في طبقات كثيفة، ما جعل وجنتيها أكثر بروزاً، وعينيها اكثر اتساعاً.

قالت المزينة مزهوة: «هذه التسريحة تبرز شخصيتك تماماً.»

لقد زاد ابتعادها عن شخصية الفتاة الصغيرة كما رأت وهي تتطلع إلى ما يطمئنها.

وحيث أنه لم يكن لديها نقود كافية، لم تجد مناصاً من أن تستعمل دفتر الشيكات الذي لديها لكي تدفع لها الفاتورة الغالية. ولم تكن قد اعتادت قط على أن يكون لها حساب خاص من قبل. إذ كانت تفضل ان تسحب نقوداً من المبلغ الزهيد الذي كانت توفره عندما تحتاج إلى شيء، ولم يكن

لوغان قد ذكر من الواضح أن عليها أن تعرف هذا فيما بعد لكي تستطيع موازنة نفقاتها. وربما من الأسهل عليها أن تطلب من المصرف نفسه بياناً بذلك.

لوغان... كان مجرد التفكير فيه يجعل خفقان قلبها يعلو. انها حتماً ستحاول الاستجابة إلى كل ما يطلبه منها، لكي لا تترك له مطمحاً في أي امرأة أخرى.

الفصل السادس

وحيث أن كارين قامت بزيارة والديها، فقد كان الوقت عصراً عندما عادت إلى وايت غيتز. وكانت حماتها ترتاح في غرفتها كما اخبرتها مدبرة المنزل السيدة لاوسون.

وفكرت كارين في أن مدبرة المنزل كان عليها أن تدرك أنه لا بد ثمة شيء ما بالنسبة إلى مخدومتها. إذ أن امرأة في سن هيلين لا تشعر، عادة، بالحاجة إلى الراحة بعد الظهر. وتمنت كارين لو أن هناك ما يوقف سير المرض. شيء لا يستطيع المال أن يبتاعه كما يبدو.

ولم يعجبها الثوب كثيراً حين رأته مرة أخرى. فهو لا يناسبها هي على الأقل. وسواء اعجبها أم لا، فإن عليها أن ترتديه الليلة إذ انها لا تملك سواه مما يفي بالغرض.

كان لا يزال هناك ساعة لحين موعد تناول الشاي، وهو الوقت الذي تخرج فيه حماتها من غرفتها. فكيف ستمضي الوقت بمفردها؟ والحرية الممنوحة لها بأن تفعل ما تشاء، كانت جميلة نظرياً، ولكنها لا شيء عملياً. وانشغال السيدة لاوسون الدائم جعل المنزل على أتم ما يمكن من النظام بحيث لم يترك للسيدة بانيستر نفسها ما تقوم به سوى النظر في قائمة الطعام يومياً.

كان هناك المكتبة الحاشدة بالكتب تنتظر من يقرأها. ولكن بالرغم من ولع كارين بالقراءة فإنها لم تجد دافعاً لذلك حالياً. وحدثت نفسها بأن ما هي بحاجة إليه هو شيء

تزاوله في الحياة. ومع أنها كانت تشعر غالباً. بالملل من وظيفتها، فإنها، على الأقل كانت تشعرها بأنها تقوم بشيء ما. ربما بإمكان لوغان أن يجد لها ما تقوم به في الاصطبلات. مثل دروس الركوب تلك. فهذه طريقة تجعلها أكثر تقرباً منه.

وعادت فارتدت البنطلون الجينز والقميص المقفول، ومن ثم اتجهت إلى الاصطبلات من الباب الخلفي مجتازة الحدائق. وكانت السماء خالية من الغيوم تقريباً، ما يبشر بمساء جميل، وكان عليهما ان يكونا في منزل دنكان اشلي بين الثامنة والثامنة والنصف، ولم يكن لدى كارين فكرة عما سيأخذه العشاء من وقت ولكنه دون شك، كان وقتاً طويلاً بالنسبة إليها. وتمنت لو أنها الآن في الغد وقد انتهى كل شيء.

وكان لوغان بعيداً عن المكان ممتطياً صهوة جواده كما قال لها خادم الاصطبل حين وصولها. مضيفاً انه لا بد سيصل عائداً في أية لحظة إذا هي شاءت أن تنتظر.

وكانت اكثر الخيول ترعى العشب الآن. وتمشت هي نحو مرعى قريب حيث استندت إلى بوابة تنظر إلى الحيوانات التي كانت ترعى العشب معجبة بحركاتها. ومع أنها كانت لا تعرف سوى القليل عن الخيول، الا انه كان من السهل عليها أن تدرك ان هذه الخيول هنا كانت اصيلة.

وكان هناك مهر صغير في زاوية بعيدة، كما أدركت حين رفع رأسه فجأة عن العشب. وراقبته بسرور وهو ينهض على قوائمه التي كانت أطول من أن تناسب حجمه، وكان كستنائي اللون يلمع في نور الشمس وسرعان ما تبعه آخر

كان هو ايضاً مستلقياً على العشب وكان لونه اسود ببقعة بيضاء في منتصف جبهته.

وضرب الأخير الأرض بحوافره بحيوية فائقة ليركض بعد ذلك متجهاً صوبها ليقف عند وصوله إلى البوابة، ناظراً إليها بفضول. ومدّت إليه يدها ملاطفة، ولكن دون جدوى، ومع ذلك فلم يبد على الحيوان الصغير أية عصبية.

وجعلها هذا تفتح البوابة لتدخل منها. وبقي هو واقفاً مكانه بينما كانت تتقدم نحوه. مستمعاً إلى صوتها الرقيق المنخفض الذي كان يلاطفه وقد انتصبت اذناه. وعندما مدّت يدها تلاطف أنفه، نفض رأسه بعيداً، ولكنه تغاضى عن ملامستها له، مادأ أنفه، بالمقابل يدسّه في يدها.

وكانت هي تضحك مبهورة، غير واعية إلى حيوان اكبر كان يتحرك ببطء مقترباً منهما. لتهب، بد ذلك، عاصفة من الحوافر آتية من ناحية أخرى، افزعتها. ولم يظهر على الحصان الفحل الأسود الذي كان يقترب منها، أي أثر للمودّة، فقد كان على وشك ان يقفز عليها قبل أن تتمكن من فتح البوابة لكي تفر هاربة، ما جعلها تكاد تلتصق بالأرض وقد ملأها الخوف.

وهتف بها صوت من خلفها: «لا تبقي واقفة هكذا، تحركي.» ونبهها هذا الأمر الصارم، إلى التحرك، فاستدارت لتركض كالعمياء نحو البوابة التي كان قد فتحها لها لوغان، ليصفقها بعد ذلك خلفها فيقف الحصان في مكانه.

وقال يسترضي الحصان: «اهدأ، لم يحدث أي ضرر.»

وصهل الحصان وهو ينفخ خياشيمه غاضباً قبل ان يرفس البوابة باحتقار، ثم يستدير مبتعداً.

وسألها لوغان بخشونة وهو يستدير إليها: «أليس عندك عقل يمنعك من دخول المرعى حيث الفحل والأمهار في مثل هذا الوقت من السنة؟»

فنظرت إليه وهي ترتجف من الغضب لتقول: «وكيف لي أن أعرف بأنه يوجد فحل هنا؟»

فلوى شفتيه قائلاً: «هل تعنين أن ليس بإمكانك تمييز الذكور من الحيوانات لدى رؤيتها؟»

فأجابت بحدة: «نعم إذا رأيتها. ولكنه كان في نهاية الحقل. ثم إذا كان هذا خطراً لهذا الحد، لماذا لا تضعون تنبيهاً؟»

فأجاب: «إنه ليس خطراً في العادة. خاصة مع الأشخاص الذين يألفهم ويثق بهم. إنه فقط لا يحب أن يرى الغرباء يطفن في المكان قرب أمهاره.»

فقالت: «معنى هذا أن ليس عليّ أن آتي إلى هنا دون مراقبة، أليس كذلك؟»

ولم يبدُ على ملامحه أي أثر للارتباك وهو يرد عليها قائلاً: «ربما هذا افضل. فأنت لا تفهمين طبائع الخيل.»

فحاولت كارين أن تسيطر على نفسها، وهي ترى كلامه منطقياً، وقالت: «هذا فقط لأنه لم تسنح لي الفرصة قط من قبل للتعامل معها.» فتفرس لوغان فيها لحظة وقد لانت ملامحه، ثم سألها قائلاً: «اتريدين ان تتعاملي معها؟»

فقالت متشوقة لاقناعه: «نعم. وتعلم الركوب هو البداية أليس كذلك؟»

فأجاب: «نعم، ولكن لسوء الحظ ليس لدينا، حالياً، فرس مناسبة لذلك.»

فسألته: «وماذا عن الحصان الذي كنت تمتطيه الآن؟»

فابتسم قائلاً: «الراقص؟ اتظنين ان بإمكانك التعامل مع فحل آخر؟»

فابتسمت بدورها قائلة: «لا يبدو ذلك. حتى انني لم أدرك ان امتطاءها ممكن. أليس السيطرة عليها صعباً؟»

فأجاب: «فقط عندما تكون هناك مهرة في فصل التزاوج.» وظهرت لمحة من السخرية في صوته وهو يسألها: «كيف كانت رحلة التسوّق هذا الصباح؟»

وكرهت ان تصارحه بالحقيقة، فقالت: «لا بأس. فقد اخبرتني امك عن المكان الذي اشتري منه ثوباً لحفلة الليلة.»

فقال بدهشة: «أحقاً فعلت؟ لم اكن اظن ان المتجر الذي اعتادت الشراء منه، يمكنه ان يرضي اذواق الشابات الصغيرات.» ووضع ذراعه حول كتفيها بحركة طبيعية يديرها في اتجاه الاصطبلات وهو يتابع قائلاً: «تعالي وقولي مرحباً للراقص على كل حال.»

ومشت معه وقد شعرت بالسعادة لقربها منه.

كان الراقص حصاناً رمادي اللون، رهيباً في حجمه وهو يطل برأسه من مربطه في الاصطبل مجيباً نداء لوغان. ومدّت كارين يدها تلامس، اللجام في خطمه دون ان تهتم بالوميض الذي يبدو في عينيه.

وقال لوغان يطمئنها: «انه لا يعض إلا إذا كان ثمة استثارة له.» وهز رأسه عندما سحبت هي يدها بسرعة، وتابع قائلاً: «ان اظهارك الفزع لن يجعلك تصلين إلى شيء. فالحيوانات تشعر بهذا، ما يجعلها عصبية هي أيضاً.

تحدثي إليه ودعيه يتعرف إلى صوتك كما يتعرف إلى رائحتك.»

فقالت للحصان: «مرحباً يا راقص؟ من هو الفتى الجميل؟»

فقال لوغان هازئاً: «انه ليس ببغاء.» ووضع يده بين اذني الحصان وهو يقول برقة: «نحن جميعاً لنا كرامتنا، أليس كذلك يا فتى؟»

وصهل الحصان وكأنه يوافقه على ذلك، وقد بدا عليه التأثر بوضوح. وتساءلت كارين، باشمئزاز، عما إذا كانت تشعر بالغيرة حقاً.

وسألته: «هل ستعود لتناول الشاي؟ لقد حان الوقت لذلك تقريباً.»

فهز رأسه قائلاً: «ليس هذا النهار. اذهبي وتناولي الشاي مع أمي.»

ولم تشأ ان تتركه، ولكنها لم تجد مبرراً للبقاء، فسألته: «في أي وقت إذن ستكون في المنزل؟»

فقال: «لن انسى ان علينا ان نخرج الليلة.» وربت على الحصان للمرة الأخيرة قبل ان يبتعد بوجه خال من التعبير وهو يقول: «ليس هناك حاجة بنا إلى الخروج قبل الثامنة. فالمنزل لا يبعد اكثر من عشر دقائق.»

وجاهدت كارين في المحافظة على هدوئها إذ تعود إلى المنزل بمفردها. عليها الليلة أن تتظاهر بالاطمئنان والثقة بالنفس. فمهما كانت الظروف فإن لوغان هو زوجها، وعلى مارغوت ان تعرف هذا.

ووجدت حماتها في شرفة المدخل، وأمامها عربة الشاي التي كانت وصلت لتوّها.

وقالت الأخيرة بمرح: «لقد ابتدأت أظن أنني سأتناول الشاي بمفردي. هل وجدت ثوباً؟»

فأجابت كارين وهي تقدم كرسياً جلست عليه: «نعم، شكراً. أحب ان تخبريني عن ثمنه عندما يصل. فقد سبق وفتح لوغان لي حساباً في البنك.»

فقالت حماتها وقد بدت في عينيها نظرة ذكية: «انني مسرورة لسماعي بهذا. ولكنني لا أراك متشوقة إلى حضور حفلة الليلة. أليس كذلك؟»

وكان على كارين أن تكون صريحة بهذا الشأن، فردّت تقول: «كلا. فأنا لم اتعود هذه الشؤون.»

فقالت حماتها: «لا أدري لماذا تهتمين إلى هذا الحد بذلك. فأنت شابة بالغة الجاذبية والذكاء. وأنا متأكدة من أن لديك المقدرة على التصرف المناسب في أي ظرف كان.»

فقالت كارين: «ولكن، ربما سأكون أصغر المدعوين سناً هناك؟»

فأجابت: «حسناً، نعم. قد يكون ذلك صحيحاً. ولكن هذه يجب أن تكون نقطة في صالحك وليس العكس.» وضحكت وهي تتابع قائلة: «وستحسدك على ذلك بقية المدعوات.»

وفكرت كارين بخيبة أمل، في أن هذا لا يجعل الوضع طبيعياً. وساورها الشك في أن يكون هذا صحيحاً. ذلك أن النساء في حفلة مارغوت سيكن من الأناقة والاتزان بحيث لا يشعرن معه بالحنين إلى العودة إلى سن الثامنة عشرة.

وعندما صعدت إلى غرفتها لتتهيأ للذهاب في الساعة السابعة، كان لوغان لم يعد بعد. اغتسلت ثم هيأت ثوبها الجديد واضعة اياه بجانبها. لتلف نفسها بشال قطني خفيف، وتجلس بعد ذلك لتزين وجهها. وكان شعرها لا

يحتاج إلا إلى القليل من العناية بعد ان قصته وصففته يد خبيرة. وفكرت بحزن، في أن لوغان لم يلق إليه بالاً. وألقت نظرة نهائية على نفسها في المرآة. إن ذلك الثوب لا يسبغ جمالاً على مظهرها رغم أنه يبدو غالي الثمن.

وعندما عاد لوغان، كانت هي تطلي اظافرها.

وقال: «لقد حدثت حالة طارئة، فقد سقطت إحدى الأمهار فريسة لمغص مؤلم.»

فسألته: «وهل ستكون على مايرام؟»

فأجاب: «لقد ابتدأت الآن. بعد أن سببت لنا الكثير من الارتباك. ذلك أنه ليس ثمة ما يمكن أن يفعل تجاه التواء الأمعاء.» وكان يخلع قميصه وهو يتحدث، ثم قال: «اظنك انتهيت من الحمام؟»

وتساءلت كارين إن كان هذا لا يبدو واضحاً عليها بالنسبة إليه.

ويبدو أنه كان سؤالاً عابراً غير جاد، إذ دخل الحمام دون أن ينتظر الجواب وهو يقول عند الباب: «بالمناسبة، لقد اعجبتني تسريحة شعرك.» وتلاشى سرورها بهذا الاطراء وهي تفكر في أنه ربما لم يكن يعجبه طراز شعرها السابق.» فهو لم يكن يدلي بأي تعليق على ما تلبس حتى الآن. باستثناء يوم العرس حيث قال لها إنها تبدو جميلة. ولكنه، يوم العرس، ما كان ليسبب لها الاحباط بأي انتقاد يوجهه إليها حتى ولو كان ذلك هو رأيه الحقيقي.

وعندما خرج من الحمام، اخذت تحدّق فيه في المرآة، ونظر إليها فجأة قبل أن تتمكن من تحويل بصرها عنه. وارتفع حاجبه ساخراً وهو يقول: «فيما بعد.»

فتوهج وجهها من حمرة الخجل وهي تقول: «إنني لم أكن أفكر في... في ذلك.»

فقال: «بل كنت، فقد بدا هذا واضحاً.» وأخرج قميص سهرة أخذ يرتديه وقد بدت على شفتيه ابتسامة شبه ساخرة وهو يتابع قائلاً: «لماذا يبدو عليك الذعر؟ ان هذا شيء طبيعي تماماً، كل ما في الأمر أن اللحظة غير مناسبة.»

فقالت بغضب: «آه، كلا طبعاً. فليس بإمكانك ابداً أن تتأخر عن مارغوت.»

وللحظة قصيرة، التهب شيء في عينيه، ولكنه لم يلبث أن هز كتفيه بعدم اكتراث قائلاً: «ليس من عادتي التأخر عن شيء إذا كان ذلك في إمكاني.»

ارتجفت غضباً وهي تقف بعد أن لم تعد تهتم بالثوب وبرأي لوغان فيه. إنها لم تعد تبالي به بعد الآن. فقد كان قاسياً دون قلب ولا يستحق شيئاً من ناحيتها.

ومع أن المساء كان دافئاً، إلا أنها لم تكن بغنى عن شيء تلفه حول كتفيها أثناء الطريق، كما فكرت وهي تلقي نظرة على نفسها في المرآة. وكان لديها جاكتة سوداء قد تصلح لذلك. كذلك كان عنقها بحاجة إلى ما يزينه، ولكن كل ما كان عندها هو قطع من المجوهرات الصغيرة لا يناسبه أي منها.

وكان لوغان قد أنهى وضع رباط العنق، وتناول الجاكتة من على الكرسي. وتحولت كارين إليه برغمها لتراه وهو يرتديها. ورأت باستسلام مصيري، التعبير الذي مر بسرعة على وجهه عندما نظر إليها. وشكرت حظها لأنه لم يدل بأي تعليق. ذلك أن أي اطراء يصدر عنه كان سيضيف إلى ألمها، الاهانة.

وسألها: «هل أنت مستعدة للذهاب؟»

فأجابت: «مازلت بحاجة إلى جاكتة.»

واتجها نحو السلم معاً إنما بصمت. وتمنت كارين لو تملك الشجاعة التي تمكنها من رفض الذهاب إلى الحفلة مطلقاً. لقد كانت ظنت الليلة الماضية، أن كل شيء قد ابتدأ يصبح على ما يرام بينهما. ولكن هذا لم يكن صحيحاً، وربما لن يكون أبداً.

وعندما وصلا إلى القاعة، قال فجأة: «ان عندي شيئاً لك. تعالي إلى المكتب.»

فرافقته مترددة، ووقفت عند الباب بينما اجتاز هو الغرفة نحو لوحة زيتية على الجدار أزاحها لتبدو خلفها خزنة صغيرة فتحها بإدارة دولاب في وسطها. وتناول منها علبة طويلة مسطحة، ثم عاد فأغلق بابها، وأعاد اللوحة إلى مكانها مرة أخرى، ومن ثم عاد إلى المكتب الواسع تحت النافذة.

وقال لها: «تقدمي إلى هنا.»

وفعلت كارين وهي تحملق بعينيها في العلبة التي فتحها عن عقد طويل مزدوج من اللؤلؤ.

وقال وهو يلوي شفتيه قليلاً: «إنها هدية العرس تأخرت بها. وكنت سأقدمها إليك في نفس الليلة. ولكنني لم أجد اللحظة المناسبة.»

فقالت: «إنني... آسفة.» وكان هذا كل ما استطاعت أن تقوله.

فقال بجفاء: «وكذلك أنا. والآن استديري.» واستدارت وهي تعض شفتها متمنية لو أن هناك طريقة تعيد بها عقارب الساعة إلى الوراء. لو لم تكن مارغوت قد اخبرتها

بسبب سرعة لوغان في الزواج، لكانت الأمور مختلفة جداً.

واستقرت اللآلىء حول عنقها. كانت لآلىء حقيقية. ولا بد أنها كلفت ثروة.

وقالت: «شكراً. إنها رائعة.»

فقال: «أهلاً وسهلاً. إن لك عنقاً جميلاً... عندما تذهبين مرة أخرى إلى التسوّق فاستعملي ذوقك الخاص.»

فشعرت بغصة، وقالت بصوت خشن: «أعلم أنني لا أبدو بشكل مناسب.»

فقاطعها قائلاً: «هذا غير صحيح. فلا شيء خطأ في الثوب نفسه. وإنما هو ببساطة لا يبرر شخصيتك. فأنا أكره أن أرى امرأة فوق الثلاثين في ثوب قصير ولكنك شابة فتية يناسبك ذلك. كوني على سجيتك وليس كما تظنين أن الآخرين يريدونك أن تكونيه.»

فقالت: «سأحاول ذلك.»

تركها وهو يقول: «هنالك قرطان في العلبة أيضاً. فضعيهما في أذنيك. لقد تأخرنا.»

كان قصر إلمتري اصغر من قصر وايت غيتز إنما ليس بكثير. وكانا آخر من وصل من المدعوين الاثني عشر. فكانا مركز الأنظار منذ اللحظة التي دخلا فيها. وكانت مارغوت تبدو صاعقة الجمال كالعادة في طقمها الحريري الأسود والحزام الفضي. وألقت على كارين نظرة واحدة تقيمها بها، ثم اهملتها كلياً لتركز كل اهتمامها على لوغان بطريقة لم تترك مجالاً في ذهن كارين على الأقل، للشك في من هو الذي يستحوذ على اهتمامها الرئيسي.

ولم يبد على زوجها أنه لاحظ ذلك هو أيضاً، وكان أقصر

من لوغان بعدة سنتمترات كما كان يبدو أيضاً أكبر منه بعدة سنوات ربما بسبب كونه أجلح بشعره الأشقر، وكانت كارين قد سبق وتبادلت معه، يوم زفافها، كلمات قليلة،ولكنها أعجبت بمظهره. ووافقت حماتها على ما سبق وأبدته من أنه ليس النموذج الذي يلائم مارغوت مطلقاً.

وسرعان ما أخذت تركز افكارها على الأسماء التي بدأت تقدم إليها عند التعارف، ولم توجه إليها بقية النساء تلك النظرة المتفحصة بازدراء كما فعلت مارغوت، بل كن في اكثر الأحيان يظهرن لها المودة والصداقة.

وعلى مائدة العشاء، وجدت نفسها بجانب مضيفتها، بينما كان لوغان في الطرف الآخر من المائدة جالساً على يمين مارغوت. وحيث أنها كانت تلاحظ كل تعبير يظهر على ملامحهما وهما يتبادلان الحديث باستمرار وسهولة اثناء تناول الطعام، فقد وجدت صعوبة في الاستجابة إلى حديث جيرانها الأقربين باكثر من كلمة او كلمتين، وكان دنكان هو الوحيد الذي بقي مثابراً على الحديث معها.

وقال: «أظنك اعتدت أن تكوني ضمن فرقة بارستون التمثيلية، أليس كذلك؟ إنني أدير فرقة برايور بلايزر في نورويتش. فهل عندك ما يمنع من الالتحاق معنا في الفرقة؟ إننا بحاجة إلى وجوه شابة.»

فأجابت بتحفظ: «قد يمكنني ذلك. ذلك أنه مضى وقت طويل منذ كنت أقوم بالتمثيل.»

فضحك دنكان قائلاً: «ليس ثمة ما يسمى (منذ وقت طويل) بالنسبة إليك. فكل شيء هو أمامك فأنا اتذكرك في آخر انتاج، وذلك منذ سنتين أو حوالي ذلك.»

فضحكت كارين وهي تغضن أنفها وقد نسيت المكان الذي هي فيه، في هذه اللحظة، وهي تقول: «ليس لك أن تكون لطيفاً نحوي، فأنا لم أحصل على الدور إلا عندما مرضت الممثلة صاحبة الدور وكنت أنا من يليها في العمر.»

فهز رأسه يجيبها بقوله: «لا تبخسي من قدر نفسك. لقد كنت جيدة جداً بالنسبة إلى سن السادسة عشرة.»

وكانت في الحقيقة، في الخامسة عشرة ذلك الحين، ولكن، ما أهمية ذلك لو أنها اخبرته؟

وعاد هو يقول مصراً: «إذن فبإمكاني أن اسجل اسمك كعضو منتظر في الفرقة؟»

فقالت: «حسناً... نعم.» ولم تكن هي متأكدة أبداً من هذا الشأن. ولكن ربما كان من فساد الذوق أن تقول كلا. وأضافت تقول بخجل: «وهل تقوم مارغوت بالتمثيل هي أيضاً؟»

وبهتت البشاشة قليلاً في تلك الملامح الوسيمة وهو يقول: «من الأسف أننا لا نتشارك في هذا الميل إلى التمثيل بوجه خاص.»

وفكرت كارين بأن كثيرين أيضاً لا يميلون إلى ذلك. وفكرت في ما عسى أن يظن لوغان بها لو أنها انضمت إلى الفرقة. وهذا لا يعني طبعاً أن عليها أن تحصل على إذن منه بذلك، ولكن سيكون الحصول على استحسانه شيئاً لطيفاً.

كان لوغان ما يزال يتحدث مع مارغوت بنفس الحيوية... أو على الأصح، هي التي كانت تقوم باكثر الحديث وهو الذي يستمع، ولكن الابتسامة على شفتيه كانت تقول كل

شيء. حتى ولو كان هو ينكر أية نية في الزواج منها في الماضي، فهو لا يمكنه إلا أن يقارن بين السيدة مارغوت أشلي الرائعة الجمال والأناقة، وبين عروسه العادية. وكانت التعاسة تتملكها وهي تفكر في كل هذا.

ولم يكن الحديث الذي طرق مسامعها من نافذة غرفة المعاطف بينما كانت تغسل يديها، بعد ذلك، ليزيد من ثقتها بنفسها. فقد كان رجل وامرأة من الحضور على الشرفة واقفين عندما حمل الليل الهادىء كلماتهما إلى أذنيها. قالت المرأة تسأل رفيقها: «ما الذي تظنه بالنسبة إليها؟»

فأجاب الرجل ضاحكاً: «إنها بالتأكيد، فتاة صغيرة جميلة.»

فقالت المرأة: «حسناً، نعم.» وأضافت بخبث: «ولكنها دون ذوق مطلقاً في ملابسها. أليس كذلك؟»

وضحك الرجل مرة أخرى يجيبها: «لا بد أن أقول إن لوغان لا يهتم بالملابس، حتى وإن دفع فيها ثمناً غالياً.»

فقالت المرأة: «هناك شائعة تقول إنه اسرع في الزواج لكي يستحوذ على الميراث.»

فأجاب الرجل: «هذا هراء. فليس ثمة محكمة تساند شرطاً كهذا. وعلى كل حال، حتى ولو كان هذا صحيحاً، فإن بإمكاني أن أفكر بواحدة أو اثنتين من الممكن أن تلبياه بكل سرور دون أن يضطر إلى الزواج من مراهقة.»

فقالت المرأة: «آه، ولكن هل بإمكانه، عند ذاك أن يستمر في نوع حياته التي اعتادها؟ إن صغيرتنا كارين ستكون من الابتهاج بحظها السعيد بحيث لن تجرؤ على أن تتدخل في شيء. لقد رأت ما كان يجري على المائدة بينه وبين

مارغوت، ولكنني أراهنك على انها لن تعاتبه بشيء عن ذلك.»

وهنا، توقفت كارين عن التصنت. وفكرت بألم في أنه كان من الأفضل لها لو لم تستمع إلى هذا الكلام على الاطلاق. ذلك أن الذين يسترقون السمع نادراً ما يسمعون شيئاً حسناً عن أنفسهم، ربما كان في ما قالته المرأة الكثير من الحقيقة، فلو أن لوغان كان قد تزوج أي امرأة اخرى فقط لكي يحقق شرط الإرث، لكان وجد نفسه مقيد الحرية. بينما معها هي لا يحتاج الأمر إلى جهد خاص. فهو يعرف جيداً كيف يتدبر أمرها. فهو يلقي إليها بالفتات كلما أراد ذلك، ليتركها بعد ذلك جائعة.

وحدثت نفسها بتصميم مفاجىء، في أن ذلك لن يحدث بعد الآن. فهي منذ الآن فصاعداً ستكون مختلفة جداً.

وتفرق الحضور إلى مجموعات صغيرة انتشرت في أنحاء المنزل ما جعل من الصعب عليها أن تعرف من هما اللذين كانا يتحدثان في الشرفة، ولكن الأمر لم يكن مهماً إذ لا بد أن ذلك الحديث كان هو الفكرة السائدة بين الحضور.

كان لوغان يتحدث إلى دنكان، بينما كانت مارغوت تحوم حولهما بفروغ صبر. وبدا عليه أنه يتجاهلها. ولكن تلك، كما فكرت كارين، كانت طريقته في الاحتفاظ بالسيطرة لنفسه. وكان يبدو لكارين ذا جاذبية في بذلة السهرة السوداء والقميص الأبيض. وداخلها اليأس لحظة سرعان ما تلاشى وهي تحدث نفسها، متمالكة شجاعتها مرة أخرى، بأن لوغان كان وسيبقى بالغ الجاذبية.

أحد الرجال، وكان يدعى كما حاولت أن تتذكر، تود

ناسية القسم الآخر من الاسم، انتقل متعمداً مجتازاً الغرفة إلى حيث كانت تقف قرب باب غرفة الاستقبال.

وقال لها: «دعيني اقدم إليك عصيراً.»

وكانت على وشك أن ترفض، حين وقعت عيناها على لوغان ينظر نحوها، فرسمت على وجهها ابتسامة مشرقة وهي تجيب: «شكراً. أود كوباً من عصير التفاح.»

وعاد إليها بعد نصف دقيقة، بكوب من العصير مع آخر لنفسه كما لاحظت.

وقال تود بلهجة ثقيلة نوعاً ما: «لقد جعلتني أشعر بالارهاق حقاً، تماماً كما جعلت كل شخص هنا. آه، أن يعود المرء إلى سن الثامنة عشرة مرة أخرى...»

فقالت تسأله: «حتى دون نقود أو ربما عقل؟ في الحقيقة، أتمنى لو أصل بسرعة إلى سن الثلاثين.»

فقال وهو ينظر في عينيها مباشرة: «ستكونين جميلة في أي سن كان. إن لوغان رجل محظوظ.» وكان في هذا الاطراء الواضح بلسم لجراح نفسها.

وخفضت كارين بصرها وهي تقول: «انك بالغ اللطف.»

فضحك قائلاً: «كما أنك لست بالبراءة التي تبدو عليك. لقد أخبرني دنكان أنك ستلتحقين بفرقة برايور. إننا نقوم بتمثيلية (عطلة أسبوع هادئة) وستصلحين تماماً لدور...»

فقاطعته قائلة: «اسمع، حتى ولو التحقت بالفرقة، فأنا لا أتوقع أن استلم مباشرة دوراً رئيسياً من أول مرة.»

فأجاب: «لا أرى سبباً يمنع ذلك، إذا كنت تصلحين للدور. وقد يسبب هذا شيئاً من الغيرة، وماذا في ذلك؟ إن الانتاج أهم كثيراً من مداراة الكرامة.»

فسألته دون اهتمام بملاحقة هذا الأمر: «هل يوجد هنا الآن اعضاء آخرون في الفرقة؟ إنني اعرف أن مارغوت ليست منهم.»

فأجاب: «وكذلك ليس لوغان بالطبع.» وتابع بلهجة تهكمية: «إننا نحن السبعة بما فينا دنكان نفسه، نشكل فريقاً متجانساً، إننا نحب القيام بالعمل معاً.»

بدا بعد ذلك أن المساء قد اتخذ شكلاً جديداً. فقد انطلق لسانها... وانتبهت اكثر من مرة إلى لوغان وهو يراقبها بينما كانت تضحك وتثرثر، وتعابث. وسرها أن تريه ما بإمكانها أن تقوم به وقت اللزوم. فلتأخذه مارغوت، فلماذا تهتم هي؟ إنها قد ابتدأت الآن تدرك مبلغ ما يمكن أن تكون عليه الحياة من مرح وبهجة.

أما كيف خرجت إلى الشرفة، فهذا ما لم تكن لديها فكرة واضحة عنه. لقد عادت إلى وعيها عندما ابتدأ تود يتحرش بها.

وصرخت فيه بوحشية: «كلا.»

فقال بلهجة تحوي من الهزل اكثر مما تحوي من الاستياء: «إذن ما كان لك أن تخرجي معي إلى هنا. وبعد، فأنت مازلت طفلة، أليس كذلك؟»

فقالت بلهجة تحوي كل ما أمكنها من الشعور بالكرامة: «إذا كان هذا العمل جزءاً مما تتحدث عنه، فأنا أفضل أن أبقى كما أنا. وأنا آسفة إذا كنت جعلتك تأخذ عني فكرة خاطئة.»

فهز كتفيه يظهر المرح وهو يقول: «لا بأس من الأفضل أن نعود إلى الداخل قبل أن يأتي زوجك باحثاً عنك.»

لوغان. وامتلأت، لدى التفكير به، بالاشمئزاز من نفسها. كانت تحاول أن تجعله يشعر بالغيرة. فماذا كان سيفعل لو أنه ضبطهما معاً؟ وكرهت التفكير في هذا.

وقال تود بجفاء: «إذا كنت ستعودين بهذا المنظر، فسيظن من يراك أنني أزعجتك كثيراً. ابتسمي، وادعي أنه لم يحدث شيء قط. فأنا لن أبلغ عنك إلى ناظر المدرسة.»

فقالت ثائرة: «ويحك يا تود...» فارتسمت على وجهه ابتسامة عريضة وهو يقول: «هذا أفضل. والآن، ها انت ذي تتكلمين بمثل لغتي.» ونظر إليها لحظة، ثم تنهد قائلاً: «اسمعي. لقد أخطأنا نحن الاثنين، انما لم يحدث أي ضرر.»

وفكرت كارين باشمئزاز أن الضرر، طبعاً، لم يحدث له. ولكن احترامها لنفسها قد تدهور عما كان منذ ساعتين.

ولم يكن ثمة مفر من أن يراهما لوغان، الذي كان مواجهاً لباب الشرفة، عندما عادا إلى القاعة. لقد رأت عينيه تضيقان وهو ينقل بصره منها إلى ذلك الرجل خلفها، فأدركت أنه فهم ما حدث. وكان في توتر فكه البرهان الذي كانت بحاجة إليه.

الفصل السابع

انتهت الحفلة حوالي الساعة الواحدة صباحاً. وانتظر لوغان إلى أن اصبحا في السيارة متجهين إلى المنزل، ليقول بلهجة متوترة: «عليك بالابتعاد عن تود غارفيلد. هل هذا واضح؟»

وكان في هذا الأمر المختصر الذي ألقاه دون أي مقدمات، ما جعل ثائرتها تثور. إنها ليست طفلة لكي يتكلم إليها بهذه الطريقة. وهي لا تريده أن يتحدث إليها هكذا.

وردت عليه باقتضاب: «ربما سيكون هذا صعباً. فقد طلب مني دنكان الالتحاق بالفرقة التمثيلية. وأعتقد أن تود هو عضو فيها.»

فقال: «انك تعرفين تماماً ماذا أعني.» كانت لهجته مازالت على توترها، وجانب وجهه قاسياً وهو يتابع قوله: «ان زوجته تعاني ما فيه الكفاية لكي تنقذ حياتها الزوجية من الانهيار، فلا تقدمي له المساعدة لتجشيعه.»

فقالت مستنكرة: «ولكنني لم أقدم له شيئاً.»

فقال: «لقد سمحت له بأخذك إلى الشرفة.»

فقالت: «لقد كان الجو خانقاً في الداخل، فخرجنا نستنشق الهواء الطلق.»

فقال: «انك لست ساذجة إلى هذا الحد.»

فأجابت: «يظهر أنني كذلك، وإلا لكنت أعقل من أن اتزوجك.»

فأجاب بلهجة متوترة: «لقد تزوجتني لأن هذه كانت رغبتك. لأن بإمكاني أن اعطيك كل ما تشائين.»

فقالت: «إنني لا أريد نقودك.»

فقال: «إنني لا أتحدث عن النقود، بل عن المشاعر.»

فقالت وقد منعها الألم من أن تشعر بالغضب: «أتعني أنني أردت بالزواج منك، إرضاء لمشاعري؟ لو كان هذا صحيحاً، لماذا إذن، هربت منك ليلة عرسنا؟ ولماذا كان اهتمامي لما كانت أخبرتني به مارغوت؟»

فأطلق ضحكة قصيرة جافة وهو يقول: «ذلك لأن احلامك قد تبددت. كنت تريدينني أن أحبك حتى ولو لم تكوني تكنين لي نفس الشعور. فالامتناع ثم القبول ثم الامتناع مرة أخرى، تدفعني إلى محاولة الأخذ بالثأر. ولو كنت قد قمت بارغامك لتقبلت أنت ذلك.»

فقالت: «هذا ليس صحيحاً.»

فأجاب: «بل أظنه كذلك. وإن تركي لك أياماً تتحرقين فيها، كان اسوأ انواع العقاب.» وسكت ثم تابع يقول وقد عادت لهجته إلى التوتر: «على كل حال، فإن من الأفضل لي أن اكون الرجل الوحيد في حياتك من الآن فصاعداً. فإذا أنا ضبطتك تقومين ولو بالنظر جانبياً إلى رجل، فستندمين. هل فهمت؟»

فأجابت وقد ابتدأ غضبها يتصاعد بوضوح: «آه، فهمت تماماً. إن معنى هذا انك قاسي ومستبد.»

فقال: «هذا غير صحيح. إنني أريدك تماماً. ولكنني فقط لا أريد أن أغمض عيني عندما تتواجدين مع رجال آخرين.»

فقالت: «أما أنا. فليس من المفروض أن أشكو عندما

تقوم أنت بنفس الشيء مع نساء أخريات. أليس كذلك؟ إنني إذن، غبية إذا كنت لم أدرك ما الذي كان يدور بينك وبين مارغوت هذه الليلة. إن الجميع لاحظوا ذلك.»

فقال: «إذن، فالجميع كانوا مخطئين. فإياك أن تحاولي الانتصار عليّ بهذا الشكل. فالهجوم ليس دائماً أفضل وسائل الدفاع كما يقولون.»

واستغرقت كارين في الصمت. فهو لن يصدق قط أنها لم تهدف إلى العبث مع تود. وفي الحقيقة، لم تكن هي نفسها متأكدة من ذلك. ولكن رغبتها في أن تظهر للوغان أنه ليس السمكة الوحيدة في البحر، كانت هي البداية، وسواء كان يهتم بما ترغبه مارغوت، أم لا، فليس ثمة شك في اهتمام الأخيرة به. ذلك أن تلك المرأة لم تكن لتخفي ذلك. وفكرت كارين أن عليها ان تراقب الأمر جيداً وتبقي عينيها مفتوحتين.

وعندما وصلا إلى المنزل، كان هذا غارقاً في ظلام دامس عدا ضوءاً واحداً ترك في القاعة. ودخلت كارين المنزل مباشرة، بينما أخذ لوغان السيارة إلى المرآب. وكانت في الحمام عندما صعد هو إلى الطابق الأعلى.

وعندما خرجت من الحمام، لم يقل شيئاً، كما أنه لم ينظر إلى ناحيتها. ومرت كارين بجانبه وهي تحول عنه بصرها، ثم اندست في فراشها، لترقد على جانبها مولية ظهرها له، بنفس الطريقة التي كانت اتبعتها كل ليلة منذ زواجهما.

جاء الاتصال الهاتفي في مساء اليوم التالي بعد العشاء، وحملت كارين الهاتف إلى غرفة الاستقبال، تبتعد بذلك عن لوغان رغم أنه كان يبدو مشغولاً بحديث طويل مع والدته.

وكان المتصل هو دنكان الذي قال: «إننا سنعقد اجتماعاً غداً مساء. هل ستأتين؟»

فأجابت: «هذا إذا وعدتني بأن لا تلقي بي خارجاً في النهاية.» وكانت تحاول أن تبدو مرحة وهي تتابع قائلة: «فكما أخبرتك ليلة أمس، فقد مر وقت طويل منذ أن كنت أزاول التمثيل.»

فضحك دنكان قائلاً: «هذا يدفعك إلى أن تبدأي مرة أخرى. متى آتي لاصطحابك؟»

فأجابت: «شكراً. يمكنني أن أحضر بنفسي بالسيارة إلى نورويتش. في أي ساعة؟»

فأجاب: «السابعة والنصف في لايتون هول.»

فقالت: «إنني أعرف المكان.» وأخذت كارين بعد ذلك، تفكر في ما عليها أن تفعل بالنسبة إلى العشاء. ولكنها لم تشأ أن تثير الموضوع. فقد كانت تعلم أنها ستندم على قبولها بذلك الموضوع. ولكن الأوان قد فات الآن لكي تغير قرارها. وهي ستذهب فقط لإلقاء نظرة، على كل حال، وهي غير مرغمة على أن تكون عضواً في الفرقة إذا لم يعجبها الأمر.

وعندما عادت إلى مقعدها، قالت حماتها: «انك، إذن، ستنضمين إلى فرقة برايور بلايرز. لقد كنت مشهورة في فرقة بارستون الصغيرة منذ سنوات قليلة. أليس كذلك؟»

فأجابت بخجل: «لا استطيع أن اقول هذا تماماً. إن الاجتماع سيكون في السابعة والنصف، وهذا شيء مربك نوعاً ما.»

فقالت حماتها وهي تهز رأسها: «تعنين أنك ستخسرين

العشاء؟ يمكنك أن تأكلي شيئاً قبل خروجك.» وحولت نظراتها إلى ابنها قائلة: «ألا تفكر في الذهاب أنت أيضاً؟»

فأجاب: «انها ليست هوايتي.»

فعادت تقول: «أظنهم يجتمعون مرتين اسبوعياً، اثناء اداء التجارب، وهذا قد يكون مقيداً للشخص.»

فقالت كارين: «ولكن ليس لدي شيء آخر أقوم به.» وكانت نسيت للحظة، أنها لم تكن قد صممت بعد على الالتحاق بالفرقة.

وابتسمت لها هيلين قائلة: «كنت أفكر فيما لو ارادك لوغان أن تذهبي معه إلى مكان ما، في ليلة إداء التجربة مثلاً.»

فقال لوغان: «ان هذا أمر جدير بالاعتبار هذا إذا حدث. وأنا لا أرى أية مشكلة في الأمر.» ونظرت في عينيه الثابتتين. حسناً، ربما كان يعتبر نفسه المسؤول عنها، ولكنها سوف تثبت له أنه مخطىء، فهي المسؤولة عن نفسها. وكلما اسرع في معرفة ذلك كان هذا افضل.

وقالت هيلين الأم تغير الموضوع: «هل هنالك شيء بالنسبة إلى الشائعات التي تتناول اسرة اشلي؟ لا بد أن عندك فكرة عن ذلك بعد رؤيتك للزوجين الليلة الماضية.»

فرفع كتفيه يجيبها قائلاً: «لقد رأيتهما، هما الاثنين معاً أثناء العرس. وحدسك من تلك الناحية لا يختلف عن حدسي.»

فقالت: «ولكن علاقتي بهما ليست وثيقة كعلاقتك.»

فقال: «لقد كانت كذلك. تذكري أن هذا كان منذ سنتين. على كل حال، ليس دنكان من النوع الذي يثق بأحد.»

ولما لم تكن أمه من النوع الذي يستمتع بقليل من أخبار

الآخرين، فقد بدا عليها خيبة الأمل وهي تقول: «حسناً، يقولون (ان لا دخان دون نار) وأظن أن في ذلك شيئاً من الحقيقة. ولو كان لديهما طفل، لساعد ذلك في اصلاح الأمور بينهما.»

وتساءلت كارين إن كان في ذلك تلميحاً إليها هي. هل من الممكن أن تكون حماتها قد أحست بالصدع الذي بينها وبين لوغان؟

«كارين؟» هتف بها لوغان ينبهها وقد رفع حاجبيه قليلاً، وهو يتابع قائلاً: «إنني أسألك ان كنت تحبين أن تأتي معي لنقوم بالجولة المسائية. إن الحارس غوردون غير موجود الليلة.» ومنعها الارتباك لهذا العرض الذي لم تتوقعه من تصنع الهدوء، فهتفت باضطراب: «آسفة، كنت بعيدة بأفكاري أميالاً من هنا. نعم، سأحضر معك... إنني اشعر برغبة في المشي.»

وقالت هيلين وهما يقفان: «إذا كنتما، أنتما الاثنين، خارجين، فسأصعد أنا، إذن، إلى غرفتي.» وكانت تبتسم ولكن الخطوط التي حول عينيها كانت أكثر عمقاً. والهالات تحتهما أشد دكنة، ما كشف شحوب وجهها البالغ.

ولم يحاول لوغان الخوض في أي حديث وهما في طريقهما إلى الاصطبلات. فقد بدا مستغرقاً في أفكاره التي كانت تتركز على أمه، كما حدست كارين.

كانت الغيوم تحجب وجه القمر، وشعرت ببرودة النسيم على ذراعيها، ما تمنت معه لو أنها احضرت شيئاً ترتديه فوق ثوبها، ولكن الجو كان اكثر دفئاً في داخل الاصطبلات. وفي متابعتها للوغان وهو يتفقد كل واحد من حيواناته،

شعرت بنفسها وكأنها متطفلة لا حاجة له بها هنا. إن كل ما يعنيه الآن هي خيوله.

وسألها: «اتشعرين ببرد؟» وكانا قد دخلا القسم الثاني من الاصطبلات.

فأجابت: «ليس في هذه اللحظة. لم اكن متوقعة ان يتغير الجو إلى البرودة بهذا الشكل منذ تناولنا الشاي.»

فرد عليها بجفاء: «هذا يحدث غالباً. إننا في انكلترا.»

فقالت: «أظن الجو هنا مختلف عنه في اوستراليا.»

فأجاب: «نعم هذا صحيح. ان الفصل هو شتاء الآن هناك، ولكنه دافىء تماماً.»

فقالت تسأله: «وأين كانت مزرعتك؟»

فأجاب: «بالقرب من آديلايد. ونحن نقوم بعمل إضافي في أخذ السواح على ظهور الخيل في الجبال.»

«لا بد انك تفتقد ذلك.»

فهز كتفيه قائلاً: «لقد اعتدت على ذلك.»

فقالت بصوت أجش: «هل كان السبب، لسفرك إلى هناك، هو ما كان حدث بيننا؟»

فأجاب: «كان ذلك أحد الأسباب. ولكنني كنت أفكر في عرض سبق وأتاني للسفر، قبل ذلك. فلا داعي لأن تظني نفسك مسؤولة عن ذلك.» وبدت على شفتيه ابتسامة خفيفة وهو يتابع قائلاً: «كنت مع شريكي لاري في الجامعة، فسافر إلى هناك منذ سنوات حيث ابتدأ العمل، ولكنه كان بحاجة إلى رأسمال لكي يوسع اعماله. ان املاكنا في بلو ريفير هي اكبر كثيراً من املاكنا هنا وايت غيتز، ونحن نقيس اراضينا هناك بالميل المربع وليس بالفدان.»

فقالت: «لقد اخبرتني أمك أنك لم تكن على علاقة طيبة مع أبيك.»

فأجاب: «ان نظرتنا إلى الأمور كانت مختلفة، غالباً. فقد كان يعتبر تربية الخيول هواية، وكان يتوقع مني ذلك أيضاً. وكنت أنا أريد أن اكون مطلق التصرف.»

وكانا قد وصلا إلى اصطبل اوبيرون. وعندما دفع الحيوان الأسود الضخم برأسه بعنف على الحاجز، لم تتمالك هي من التراجع مذعورة.

فقال لوغان: «لا بأس، فهو ليس مع أمهاره الآن.» وأخذ يتكلم مع الحيوان ملاطفاً وهو يدعك أنفه، ثم تابع يقول: «انه، مثل كل الذكور، يتجاوب مع الحنان.» وأضاف ساخراً: «دعيه يشم رائحتك، لكي يعرفك في المرة التالية.»

فعادت كارين تتقدم بحذر محاولة أن لا تجفل حين نفخ الحيوان أنفه عليها. حتى انها وجدت الشجاعة لأن تتقدم وتربت على رقبته.

وقال لوغان وهو يراقبها: «بالنسبة لدروس الركوب تلك، فقد وجدت مهرة لطيفة هادئة تفي بالغرض تماماً. ويمكنك التدرج بعد ذلك مع خيول اكثر حيوية بعد أن تكوني قد تعلمت المبادىء. والمهرة ستصل غداً. ولكنها تحتاج إلى قليل من الوقت لكي تألف المحيط هنا، وهكذا سنبدأ نحن بعد يومين أو نحو ذلك. هل هذا حسن؟»

فأجابت: «هذا رائع.» وكانت كارين ستقبل بأي شيء يقترحه عليها لكي تحتفظ بصحبتها له. وتابعت تقول: «إنني أتطلّع إلى ذلك ببالغ الشوق.»

فقال ضاحكاً: «ربما تغيّرين رأيك عندما ترين ما

ستشعرين به عندما تمضين ساعة على سرج الفرس.»

فقالت برعونة: «لا يهمني ذلك. إنني أريد أن أكون فارسة مهما كلف الأمر.»

فقال وهو يبعدها عن مربط الحصان: «إنك لن تفشلي وعندك كل هذه الرغبة.» وأكمل برقة وهو يتابع قائلاً: «حافظي على رغبتك هذه، وسنصل بعد ذلك إلى ما نريد.»

وأدركت كارين أنه لم يكن يشير إلى ركوب الخيل، إنه لا بد يعني أنه كلما طال الوقت الذي يمضيانه معاً، أصبحت مشاعرهما أكثر عمقاً. كانت ترجو ذلك، بينما قد يكون صحيحاً أن شعورها نحوه وهي في السادسة عشرة، كان أقرب إلى الافتتان، منه إلى الحب، ذلك أن ما تشعر به نحوه الآن كان أعمق بكثير...

وسمع صهيل فجائي من الأسفل ناحية نهاية صف المرابط، واندفع لوغان بسرعة نحو مصدر الصوت، وتبعته هي. ولكنه عند وصولها كان قد سبق واختفى داخل المبنى ذي الغرف المتعددة.

وظنت، لأول وهلة، وهي تراه جاثياً على القش بينما يلوح فوقه شبح فرس مرعب، ظنت أن الفرس قد طرحته أرضاً، ولكنه ما لبث أن وقف على قدميه، لترى المهر الرضيع مستلقياً بسكون وصمت. وسألته مترددة: «هل هو ميت؟»

فأجاب عابساً: «لم يمت بعد. ولكنه على وشك ذلك. يبدو أن ثمة نوعاً من التسمم. سأستدعي البيطري.»

وكان هناك هاتف في غرفة الأدوات القائمة في نهاية صف المرابط. ووقفت هي في العتبة أثناء اتصاله، متمنية أن يكون هناك ما تقوم به.

وعندما وضع لاغون السماعة، قال لها يطمئنها: «ليس بامكان أحد منا أن يقوم بشيء، قبل أن ندرك سبب المشكلة. فأنا أتكهن فقط. الأفضل لك أن تعودي إلى المنزل بينما أبقى أنا هنا في انتظار الطبيب البيطري أندرو، فهو لا يبعد عنا أكثر من أميال قليلة. وسيكون هنا في خلال عشر دقائق أو نحو ذلك.»

فقالت: «بودّي لو أبقى هنا، إلا إذا كنت أنت تلحّ عليّ في الذهاب.»

وكان كل جوابه أن هزّ رأسه قائلاً: «إذن، فلنضع فوق المهر غطاء، فقد تنفعه التدفئة.» وفهمت من جوابه هذا أن بامكانها البقاء معه.

وأمضيا العشر دقائق التالية في المربط حيث أخذ لوغان يهدىء من مشاعر الأم المتوترة. بينما جلست كارين على القش بجانب الحيوان الصغير العليل، كان هو نفس المهر الرضيع الذي كانت لاطفته نهار أمس، وبدا أن رفع رأس المهر هذا يسهل عليه التنفس بشكل أفضل. فوضعته كارين في حضنها، غير منتبهة إلى لعابه الذي لطخ تنورتها. ذلك أنها عدا عن هرّتها في منزل والديها والتي لم تكن ذات طبيعة عاطفية، فهي لم تحتضن حيواناً قط من قبل. ولأول مرة استطاعت أن تشعر بعمق المشاعر التي يمكن أن تزداد في الأعماق لدى موقف كهذا.

وعندما دخل البيطري، أسرعت في التنحي عن طريقه، لتقف بجانب الباب تراقبه بقلق وهو يفحص المهر.

وكانت هزة رأسه وهو يعود فيجلس على عقبيه، كطعنة سكين في قلبها، وهو يقول: «لقد فات أوان الشفاء. وأفضل

ما يمكن أن أقوم به لأجله هو أن أساعد في إنهاء حياته. فالتشريح هو الأمر الوحيد الذي يمكنني من ورائه، أن أدرك سبب المرض.»

فأومأ لوغان برأسه دون أن يتحرك، ثم قال: «سأضع لوسي الأم في المربط الاحتياطي.»

وفتحت كارين له الباب بينما كان هو يقود الأم برغمها إلى الخارج، بعينين مغرورقتين بالدموع.

وقالت برقة: «كم أنا آسفة.»

وبقيت ملامحه جامدة وهو يجيب: «ستتعلمين كيف تتقبلين أشياء كهذه. عودي الآن إلى المنزل وسألحق بك بعد فترة.»

ولم تمانع هذه المرة، إذ لم يبق ثمة معنى للبقاء. فالبيطري سيقوم بما ينبغي عليه عمله، وهذا هو كل شيء. مهر رضيع قد رحل، وبقي آخرون أحياء نشطين وليس هناك مجال للعواطف. ولا بد أن لوغان قد اعتاد على هذا، ولكنها تشك في أن بامكانها أن تعتاد ذلك هي أيضاً.

وعندما عاد لوغان إلى المنزل، كانت هي في الفراش. وأرادت أن تقول شيئاً ولكنها لم تستطع التفكير في ما يمكنها قوله. وعندما استلقى هو أخيراً في السرير، انتظرت أن يقول شيئاً، ولكنها انتظرت دون جدوى. وبعد لحظات قليلة فقط، عرفت من تنفسه أنه استغرق في النوم. وبقيت هي فترة طويلة قبل أن تتمكن من النوم، هي أيضاً.

جهزت مدبرة المنزل وجبة لشخص واحد، الساعة السادسة مساء، جاعلة كارين تشعر بالذنب لتسببها في أن تخرق السيدة لاوسون النظام. مع ان تلك المرأة لم يبد عليها

أيّ اهتمام لذلك، وعندما شرعت في السير إلى نورويتش لم يكن لوغان قد عاد إلى المنزل بعد. وكانت حماتها قالت إنه قصد مدينة تيتفورد في الرابعة والنصف لرؤية متعهد تموين.

وكالعادة، كانت كارين ما تزال نائمة عندما نهض في الصباح. ولكنه بدا أثناء الغداء مسترخياً تماماً. ولم يقل لها شيئاً عن ذهابه إلى تيتفورد. ولكن لماذا عليه أن يخبرها؟ فهي زوجته فقط وليست حارسته.

كانت رحلتها إلى حيث كان موعدها مع الفرقة التمثيلية في نورويتش، سهلة تماماً ووضعت السيارة خلف المبنى في السابعة والخامسة والعشرين، ثم دخلت لتجد معظم الأعضاء قد سبقوها إلى الدخول.

وقال دنكان: «إنني مسرور لتمكنك من الحضور. فقد كنت فكرت انك قد تغيّرين رأيك. وأظنك سبق وتعرفت إلى واحد أو اثنين من الأعضاء، طبعاً، ولكن تعالي وتعرفي إلى البقية.» .

وكما حدث مساء الاثنين في حفلة العشاء، لم تستطع كارين أن تتذكر كل الأسماء التي انهالت عليها في ظرف دقائق معدودة، وبينما كانت متأكدة من أنها أصغر الموجودين سناً، فقد كان هناك من لا يكبرها كثيراً، وهذا ما بعث السرور في نفسها. وكان ثمة عدة أشخاص كانت قد التقت بهم في حفلة آل آشلي، وبينهم تود طبعاً، الذي حياها وكأنها صديقة قديمة.

كانت زوجته افريل جالسة تنظر إليه، وقد بدا الاذعان على ملامحها، وهو يبذل جهده في اظهار جاذبيته،

واعترفت كارين لنفسها بأنه حقاً، ذو جاذبية بالغة بشعره الأشقر وعينيه الماكرتين، ولكنها ما زالت متأثرة منه قليلاً لما سبق وحدث بينهما في الحفلة.

وشعرت بالارتياح إذ لم يحاول أن يقدّم اسمها عندما ابتدأ التصويت. فقد كانت الأدوار الرئيسية سبق وقررت على كل حال، كما أدركت عندما قرأ دنكان الأسماء في القائمة.

وسرّت إذ سألوها إن كانت تقبل التطوّع في الانتاج المقبل، وترددت قليلاً في البداية حتى علمت أن ليس ثمة من يريد حقاً أن يحصل على ذلك الدور الذي سيعطى لها.

وفي الساعة العاشرة، قدمت القهوة والبسكويت عندما أعلن دنكان أن عملهم هذا المساء كان مرضياً جداً. وبينما كانت كارين تتناول القهوة وتثرثر مع تود وزوجته، وأعضاء آخرين إذا بها تشعر وكأن العالم قد انهار حولها. لقد كان دنكان يتحدث مع مجموعة أخرى على مقربة منها، وكان صوته واضحاً وهو يقول لسائل ما: «إنني لم أرها منذ وقت الغداء، فقد ذهبت إلى تيتفورد لزيارة إبنة عمها.»

وطبعاً كان يشير إلى مارغوت، كما فكرت كارين وقد سرى التنميل في أوصالها، إن ذهاب لوغان إلى نفس المكان ليس صدفة مطلقاً.

ومهما كانت نية مارغوت، فإن من غير المعقول أن يجازف لوغان بتحطيم الأشهر الباقية لأمه في هذه الحياة لكي يدعها تخمّن كم كان زواجه بعيداً عن الحب، في الحقيقة. ولكن هذا لا يعني أنه سيرفض فرصة سنحت له لإطلاق العنان لنفسه مع صديقة قديمة ناضجة رائعة الجمال والتي هي من مستواه.

وقال لها تود وهو ينظر إليها بفضول: «لقد بدا عليك الذهول فجأة. هل هنالك شيء خطأ؟»

وتكلفت كارين ابتسامة وهزت رأسها تجيبه: «لا شيء أكثر من فكرة عابرة.»

فقالت افريل: «عليك أن تحاولي اقناع لوغان بالانضمام إلينا. إن له صوتاً رائعاً، وشخصية ممتازة.»

فأجاب زوجها قبل أن تتمكن كارين من الجواب: «ولكن اهتماماته مختلفة.»

فنظرت في عينيه وهي تفكر في أنه يدرك ما هي تلك الاهتمامات. ما أشبه الرجال بالرجال.

وكانت الساعة الحادية عشرة إلا ربعاً، عندما خرج آخر الأعضاء. وكانت كارين قد تأخرت عمداً بل كانت تريد البقاء أكثر من ذلك لو كانت رأت سواها باقياً.

وقال لها دنكان وهي تدخل السيارة الروفر: «اقفلي كل الأبواب ولا تقفي لأيّ سبب كان.»

فأجابت تطمئنه: «لن أفعل ذلك.» وتساءلت عما إذا كان يشعر أن من الضروري أن يحذّر أيّ سائقة وحيدة، بهذا الشكل. فهي لم تتعود قيادة السيارة في الليل أبداً. فقد كان والدها يكره أن يراها تقود السيارة بعد الغروب. لا بأس، ليس له أن يقلق بشأنها ولوحت له بيدها بمرح وهي تقول: «سأراكم جميعاً يوم الجمعة.»

ومع أنها اعتادت على الطرق في النهار، فقد أضاعت طريقها ووجدت نفسها تجتاز تقاطع فيلبي برود بدلاً من تقاطع سومرتون. ولكنها فكرت في أن تستمرّ في سيرها متبعة طريق الساحل، بيد أن الطريق كان طويلاً وكانت قد

شاهدت إشارة تدلّ على طريق رولسبي إلى الخلف بقليل. وبامكانها أن تعبر الطريق الريفي إلى مارتام من هناك، فتوفر على نفسها بضعة أميال.

ولم تجد مشكلة في أن تجد الطريق مرة أخرى ولكنها كانت نسيت أنه مجرد طريق قصير ثانوي نسبياً وكذلك غير مضاء طبعاً، مع أن أنوار سيارتها كانت تمتد بعيداً. وأدركت أنها لن تصل إلى وايت غيتز قبل منتصف الليل. وسيتساءل لوغان أين تراها ذهبت.

وفكرت بحدة، لا بأس، فليتساءل عن ذلك، فبامكانه أن يمضي وقت غيابها عنه، بالتفكير في الوقت الذي أمضاه مع مارغوت!

وآلمها التفكير في هذا. لا بد انهما أمضيا وقتاً ممتعاً. ومع أنه كان من الصعب أن تتهمه تماماً، الا انه لم يكن ثمة طريقة تجعلها تغمض عينيها مدعية أنه لم يحدث شيء. ولكنها حالياً لم تستطع أن تقرّر الكيفية التي عليها أن تعالج بها هذا الوضع.

الفصل الثامن

كانت ساعة السيارة تشير إلى الثانية عشرة وخمس دقائق عندما وصلت كارين أخيراً، إلى وايت غيتز. وكان لوغان قد ترك سيارته المرسيدس أمام الباب، ما جعلها تتساءل عن الوقت الذي عاد به إلى البيت. ولكراهيتها لمواجهته، تكلفت عناء إدخال السيارة إلى المرآب، ثم دخلت إلى البيت من الباب الخلفي.

كان لوغان، عند دخولها، واقفاً عند باب المكتب. ولم يترك التعبير الصارم الذي بدا على وجهه أي شك في نفسها عن نوع مزاجه. وسألها: «أين كنت حتى الآن؟ لقد أخبرني دنكان أنك تركت المكان قبل الساعة الحادية عشرة.»

فأجابته بمرح لم تكن تشعر به: «لقد أضعت طريقي عند المنعطف. فجئت عبر الطريق الريفي.»

فقال: «في هذا الوقت من الليل؟»

فأجابت تدافع عن نفسها: «كنت أعرف الطريق. وقد أخذ مني وقتاً لكثر مما توقعت بقليل.»

فقال: «افرضي ان حادثاً وقع لك. او ان السيارة قد تعطلت؟ اما كان من الممكن ان تبقي طيلة الليل هناك؟»

وتمالكت كارين جأشها لا تريد أن تبدي اية مشاعر وهي ترد عليه قائلة: «ولكن لم يحدث لي اي حادث، ولم تتعطل السيارة، فالأمر على ما يرام اذن، أليس كذلك؟»

وتنفس لوغان بصوت مسموع وهو يرد عليها قائلاً:

«كلا، ابداً ليس على ما يرام. واذا لم يكن لديك عقل تدركين به ذلك، فاتركي السيارة في المرآب في المستقبل.»

والتهبت عيناها الزرقاوان غضباً وهي ترد عليه قائلة: «سأفعل هذا عندما تطلب امك مني ان لا استعملها. باعتبار انها مازالت سيارتها، انني لم اعد في السادسة عشرة، يا لوغان... ام انك لم تلاحظ ذلك؟»

فأجاب: «هنالك فرق قليل في بعض النواحي الم يخطر في بالك انني قد اشعر بالقلق لأجلك؟»

فأجابت: «كلا، لم يحظر ذلك ببالي. ولم اتوقع ان علي ان اقدم كشفاً عن تحركاتي.» ثم اضافت تقول متعمدة: «ثم انني لا أسألك تقديم كشف عن تحركاتك.»

ومر في عينيه الرماديتين معنى سريع غير مقروء وهو يجيب: «ليس من عادتي تعريض نفسي للأخطار.»

وادركت كارين انه يتجنب التعرض الى سؤالها، واعتبرت ذلك بمثابة برهان ايجابي على ذنبه فأجابت بلهجة لاذعة: «ولا أنا، فلم يحدث لي حادث بعد. وسيارة جديدة مثل الروفر هذه، من النادر ان تصاب بعطل.» وتظاهرت بأنها تتثائب مغطية فمها بظهر يدها وهي تتابع قائلة: «على كل حال، فأنا ذاهبة إلى الفراش.» فلم يتحرك ليعترض سبيلها وهي تجتاز القاعة نحو السلم. لم يتحرك مطلقاً، وبقي واقفاً عند الباب. وشعرت بعينيه تتبعانها وهي ترتقي الدرجات. ولكنها لم تنظر خلفها. فليظن ما يشاء، فليس له عليها حق الاعتذار.

وعندما وصلت الى غرفة النوم ابتدأت تفكر في الليلة هذه التي لم تبدأ بعد. فاذا حاول هو أن يلمسها فستقذفه

بكل ما تطاله يدها. واقسمت على هذا وقد ثارت ثائرتها. ان هذا الزواج كتب عليه الفشل منذ البداية.

وعندما خرجت من الحمام، كان هو يخلع قميصه. وذلك يعني انه لم يلحق بها على السلم الا بعد فترة طويلة. وحاولت ان تمر من قربه بصمت عندما اوقفتها يده القوية تقبض على ذراعها ثم تديرها نحوه لتواجهه وهو يسألها: «ما الذي حدث هذه الليلة؟ هل عاد تود الى خدعه مرة أخرى؟»

ولما كانت تعرف عنه ما تعرف، فقد صعقتها وقاحته. واوشكت ان تدلي باتهامها له، ولكن منعها من ذلك رغبة ملحة في أن تصدمه في المكان الذي يؤثر فيه، فسألته وهي تحملق فيه ببراءة ساخرة: «ما هي تلك الخدع التي تتحدث عنها؟»

فأجاب وقد ضاقت عيناه: «لا أريد منك هذا النوع من الألاعيب. لقد بدا عليك الافتتان به بكل وضوح.»

فقالت برعونة: «وماذا في ذلك؟ انه رجل جذاب يعاملني كامرأة وليس كطفلة غير اهل لرعاية نفسها.»

فقال: «انه يستجيب اليك كما يستجيب لكل وجه جميل آخر عدا زوجته. لهذا لا يداخلك الاعتقاد بأنه يراك شيئاً خاصاً قد دخل حياته. اما من ناحية معاملته لك كامرة، فأنا نفسي سأعاملك كامرأة وذلك عندما تتصرفين فعلاً كامرأة.»

فقالت بحدة: «انني آسفة جداً اذ فشلت في أن اماثل النساء اللاتي اعتدت معرفتهن. فأنا لا أملك خبرتهن.»

«انني لا اتحدث عن الخبرة، انني اتكلم عن الطريقة التي

تصرفت بها حتى دخولك الآن. كان علي ان اشبعك ضرباً.»

«اذن، فهذا يلخص مجمل سلوكك.»

فأجاب: «انه يلخص المشكلة الحقيقية. فأنت لم تكبري بعد. وحياتك التي قضيتها في مدينة بارستون لم تفدك بشيء. كان عليك ان توسعي آفاقك... أن تري شيئاً من العالم.»

فقالت: «وهل كنت ستجد فتاة اخرى بمثل غبائي لتقبل بما قبلت انا به، اذن؟»

فأجاب: «لو لم تكوني موجودة، لما اهتممت أنا بتنفيذ شرط الوصية ذاك قط، ذلك لأنني غير مصمم على قضاء بقية حياتي هنا.»

فحملقت كارين به، ثم قالت: «هل تريد أن تخبرني ان في نيتك السفر إلى استراليا بعد أن... أن ترحل والدتك؟»

فتردد برهة قبل ان يقول: «وهل في ذلك ما يدهش الى هذا الحد؟ ان العالم هناك مختلف جداً. ما يجعل انكلترا تبدو مكاناً مخيفاً.»

فسألته: «وماذا بالنسبة الي أنا؟»

فأجاب: «من العادة أن تتبع المرأة زوجها.»

فقالت: «ربما لا أريد أنا ذلك.»

فقال: «هذا قرار تتخذينه عندما يحين وقته. انني لا استطيع ارغامك على القيام بأي شيء.»

فقالت بجمود: «وهل تعلم امك بذلك؟»

فأجاب: «كلا، وأنا أفضل ان يبقى هذا سراً. فاذا كنت تفكرين في اخبارها بذلك، فلا تفعلي.»

فقالت: «لا يمكن ابداً ان أبدد اوهامها.»

ونظرت إلى اليد التي مازالت قابضة على معصمها، وهي تتابع قائلة: «أتسمح بأن تدعني اذهب، من فضلك؟ انني اريد الذهاب إلى فراشي.»

وللحظة قصيرة، اشتدت قبضته وقد بدت في عينيه نظرة خطرة، ولكنه ما لبث ان هز كتفيه وتركها وهو يقول: «بالتأكيد يجب ان تذهبي الى فراشك.»

فاتجهت نحو سريرها حيث استلقت في غمرة السكون الثقيل، بينما عاد هو إلى الحمام. ولم تتحرك الا بعد ان سمعت صوت الماء يتدفق من الدوش فاستدارت على ظهرها لتحدق في السقف دون ان تراه. انه لم يكن في نيته قط ان يسكن هنا في وايت غيتز وهي متأكدة من ذلك الآن. فكل شيء قام به، كان لأجل امه. آه، نعم انه سيأخذها معه اذا هي شاءت، ولكن هذا لم يكن ضرورياً. اما اذا هي رفضت، فهذا سيحل المشكلة بأسرها.

اوستراليا، لو كان زواجهما طبيعياً، لتبعته الى أي مكان في العالم. ولكن الأمور هناك لن تختلف عنها هنا. بل ستكون اسوأ، في الحقيقة. اذ انه، مادامت هي جديدة الآن، ولكل جديد لذة كما يقال، فهو يستمتع بوقته. ولكنه، ما أن يصبحا هناك، حتى يراها قد اصبحت مملة تجلب له الضجر.

وانقطع تدفق الماء من الدوش وعاد السكون، لا يعكره سوى صوت الريح تصفر بين اغصان الأشجار. وعندما فتح باب الحمام، عادت كارين فانقلبت على جنبها مولية ظهرها له وقد تطرفت نحو حافة الفراش حتى كادت تسقط منه ارضاً.

ومرت عدة دقائق قبل ان يقول بصوت هادىء: «ان علينا ان نصل إلى نوع من التفاهم. فالأمور لا يمكن ان تستمر بيننا بهذا الشكل. فاذا شئت ان تبقي مع الفرقة التمثيلية، فهذا حسن، انما ليكن تود غارفيلد، بعيداً عنك في المستقبل.»

ومرة اخرى، جاء دورها لتوجيه الاتهام، وايضاً لم تستطع ان تحمل نفسها على ذلك. ربما كان السبب لأنها كانت تخشى أن تتأكد ظنونها.

وقالت متهمكة: «أن يبقى هو بعيداً عني ام ابقى انا بعيدة عنه؟»

فقال ببطء: «إنني لا أمزح، اريدك أن تأخذي علماً بذلك.»

وتساءلت هي، وماذا لو لم تأخذ؟ وكانت على وشك ان ترد عليه بذلك، ولكنها كبتت جماح نفسها، فان تمرداً كهذا يظهرها اقل من راشدة الى ما سبق وهدد به اذا هي استمرت في استفزازه. ولم تشك في هذا لحظة واحدة.

وعندما بقيت صامتة، قال ساخراً: «انك تتعلمين اذن، ربما كان هناك امل.»

وفكرت كارين بألم، ان هذه ليست هي العلاقة التي كانت تحلم بها، لقد تسربت تلك الأحلام خارجة من النافذة.

وعندما اقترحت حماتها، صباح اليوم التالي ان تخرجا في نزهة بالسيارة لتناول الغداء خارج المنزل، ترددت رغم رغبتها بذلك.

وسألتها بشيء من الخجل: «هل أنت متأكدة من أن باستطاعتك الخروج؟» وكان سؤالها هذا بعد اذ رأت شحوب وجه حماتها البادي وفتور همستها.

فجاءها الجواب: «ان اقود أنا السيارة، كلا، انما أن تقوديها أنت بي، نعم، فقط لنسير على طول الساحل او اي شيء آخر.»

ثم أضافت قائلة بسرعة مفاجئة: «اريد أن اخرج واطوف بالأماكن، لا استطيع قضاء بقية حياتي سجينة قفصي هذا انتظر قدوم الموت. اريد أن اعيش قليلاً.»

كان بامكان كارين ان تتفهم شعورها هذا. فقد كانت لا تدرك الحكمة من اضافة مزيد من التوتر الى اعصاب هذه المرأة فوق ما سبق وتحملت. ومع هذا، هل هذا يهم حقيقة، إذا ما دنت النهاية؟ ولكن، إذا كانت هي في مكان حماتها، أما كانت تتمنى، هي ايضاً، أن تستمتع بأيامها الأخيرة؟

وسارا في الطريق الساحلي خلال واكسهام وهابيبورغ حتى ماندیزلي، حيث توقفنا لالقاء نظرة على المطاحن الهوائية. ثم تحولتا الى الداخل تفتشان عن مطعم قرب قرية ترانتش الذي كانت كارين قد سمعت بأنه يقدم طعاماً لذيذاً بشكل خاص.

كانتا بالاضافة إلى أربعة آخرين يمضون اجازة، هم الزبائن الوحيدين في المطعم. ولكن الطعام كان بالغ الجودة، هذا عدا عن وفرته. وكان طبق السمك الذي طلبته كارين يكفي لاثنين. وطلبت هيلين عجة بالفطر. وتناولت طعامها بشهية اقوى من العادة. كما كانت النافذة المفتوحة بقربهما تسمح للهواء النقي بالدخول، ما جعل تحسناً ملحوظاً يبدو عليها.

وقالت لها كارين: «يجب ان نكرر نزهاتنا هذه.»

فأجابت حماتها توافقها على رأيها ذاك: «سيكون هذا

رائعاً. ولكنني لن أجعلك تضيعين وقتك عليّ، يا كارين. لقد قال لوغان امس أثناء العشاء ان الفرس التي اشتراها لك قد وصلت واستقرت، وهي في انتظارك للبدء بدروس التدرب. انك تريدين التدرب على الركوب، أليس كذلك؟»

فقالت كارين: «طبعاً.» وترددت، ثم سألتها قائلة: «اذن، فقد تناول لوغان العشاء امس في البيت؟ كنت ظننت انه سيبقى في الخارج.»

فأجابت هيلين: «لقد عاد بعد خروجك بقليل.» وابتسمت لفكرة طرأت لها وهي تتابع قائلة: «لقد كان قلقاً بشأنك اذ ستعودين بمفردك في الليل، مع انني طمأنته الى انك ستكونين على ما يرام. ان رجال اسرة بانيستر لديهم عادة المحافظة على النساء.»

اذن فان لوغان لم يمكث طيلة المساء في الخارج. ولكن مازالت هناك عدة ساعات عليها أن تعرف كيف قضاها. وما كانت لتهتم لو انها لم تسمع دنكان يذكر غياب زوجته. وكانت تتمنى لو أنها لم تسمع شيئاً. احياناً يكون الجهل بالشيء افضل من العلم به.

لا شك ان مخاوفه ليلة امس، كما اخذت تقرر، لم تكن فقط لأجل سلامتها، بل كانت ايضاً لما كان يمكن ان يحدث بينها وبين تود. نعم، ان له ان يذهب مع نساء اخريات، ولكنها هي ممنوعة من الاهتمام برجال آخرين.

وقالت لها حماتها: «تبدين مستغرقة في التفكير. هل كل شيء على ما يرام بينكما انتما الاثنين؟»

واغتصبت كارين ابتسامة وهي تقول: «كل شيء حسن جداً، ولكن شط بي التفكير، وهذا كل شيء.»

ولكن حماتها لم تخدع بقولهاهذا، فقالت: «عليك ان تخبريني اذا كان هناك ما يقلقك. انني اعرف ان لوغان مستبد بعض الشيء احياناً، تماماً كما كان والده. كما ان لديك شخصية محددة مستقلة، ولكن هناك دوماً ما يسمى بالتسوية والحل الوسط.»

ولم تستطع كارين الا أن تقول: «وهذا الحل الوسط يأتي على حسابي فقط.» ورأت بارقة من الفهم في عيني محدثتها التي اجابتها قائلة: «ان المرأة الذكية يمكنها ان تسيّر الأمور كما تشاء هي وفي نفس الوقت لا تمس بكبرياء الرجل، ان المسألة كلها تتوقف على مقدار اهتمامها به.»

فقالت كارين، محاولة ان لا تبدو جادة تماماً في كلامها: «ولكن للمرأة كبرياءها هي ايضاً.»

فأجابت هيلين: «ليس بنفس الطريقة، يا عزيزتي، ان بامكاننا ان نرتفع فوق ذلك بحيث لا تمس كبرياؤنا.» وسكتت لحظة وهي تتمعن في ذلك الوجه الفتي امامها، ثم عادت تقول: «ان فرق الخمسة عشر عاماً الذي بينكما في السن، لا يجعل الأمر سهلاً، ولكنه ليس إلى الحد الذي لا يمكن التغلب عليه.»

ولم تجد كارين جواباً سوى قولها: «كلا، بالطبع. لا بأس في ذلك يا هيلين في الحقيقة. كل ما في الأمر هو أنني لم اتعود بعد على كوني زوجة.»

فقالت هيلين: «حسناً، لقد مرّ أسبوع فقط على زواجكما.»

وتساءلت كارين، اسبوع؟ هل هو اسبوع فقط ومع هذا ظهر هذا التصدع في حياتهما الزوجية. لو لم تكن مارغوت

هناك، ربما كان بامكانها ان تتبع نصيحة حماتها فتتعلم كيف تعامل زوجها بشكل افضل. ولكن تجاهلها بما تعرفه، هو كثير عليها.

وكان الوقت قريب العصر عندما عادتا إلى المنزل، حيث كان وجود لوغان بانتظارهما، مثار دهشة لهما هما الاثنتين.

وقال لأمه بغلظة: «كان من المفروض ان تكوني مرتاحة في غرفتك الآن.» وتابع يقول وهو يرى تلك الهالة الداكنة التي تحيط بعينيها: «لا أن تتسكعي في الطرق.»

فأجابت الأم: «ان امامي راحة طويلة تنتظرني. على كل حال، فالجلوس في السيارة بينما يقودها غيري، لا يكلفني اي جهد. وكارين هي سائقة ممتازة ولي ملء الثقة بها.»

وأدركت كارين من التعبير الذي بدا على ملامحه انه لا يشارك والدته هذه الثقة.

فنظرت اليه بجمود قبل ان تتحول الى حماتها قائلة وهي تبتسم لها: «انني حاضرة لأخذك للتنزه في أي وقت تشائين، وما عليك سوى ان تطلبي مني ذلك.»

وبادلتها هيلين ابتسامتها، وهي تجيبها قائلة: «شكراً لك يا عزيزتي. ما أجمل ان أجد امرأة اخرى ترافقني. صحيح ان السيدة لاوسون هي مدبرة منزل ممتازة، ولكنها ليست امهر متحدثة في العالم.» وألقت نظرة على ساعتها وهي تتابع قائلة: «أظن من الأفضل أن أصعد إلى غرفتي لأحظى بغفوة قبل موعد الشاي.»

وأخذ الاثنان يرمقانها وهي تصعد السلم كانت تبدو مرهقة. كان على كارين أن تعترف بذلك. ولكنها، على كل حال، كانت تبدو كذلك غالباً حتى وهي في المنزل.

وقال لها لوغان: «احب أن أعلم، بعد الآن، وجهة سيرك عند خروجك.»

فتمالكت كارين هدوءها وهي تجيبه: «افرض انك لست موجوداً لكي اخبرك؟»

فأجاب: «أتركي لي خبراً اذن فان الاتجاه الذي ستسيرين فيه، سيساعدنا في حالة حدوث اي شيء.»

فسألته: «هل تعني، مثلاً، وقوع حادث لي بالسيارة؟»

فأجاب ساخراً: «كل شيء ممكن حدوثه لأفضل السائقين. كما أن من الممكن ان يحدث عطل ميكانيكي لأي سيارة، افرضي انك وجدت نفسك في منطقة منعزلة حيث لا يوجد اتصال هاتفي؟»

فأجابت: «يمكنك ان تضع هاتف في السيارة هذه، كما تضع في سيارتك المرسيدس. عند ذلك لن تبقى ثمة مشكلة.»

فقال: «هذا بالتأكيد سيقلل من المشكلات. حسناً، سأهتم بوضع هاتف في السيارة، ولكنني ما زلت اريد أن اعرف وجهة سيرك قبل خروجك.» واعترفت كارين بأن عليها، حسب رأي امه، ان لاتعترض على ذلك. فان له حقاً عليها ان تضعه في الاعتبار. فقالت: «لن انسى ذلك.»

فقال: «هذا حسن.» واخذ يمعن النظر في وجهها لحظة وقد بدت في عينيه نظرة غريبة، وكأنه يزن شيئاً في ذهنه، ثم قال وهو يهز كتفيه: «عدت لأسألك ان كنت مستعدة للبدء بالدرس الأول في الركوب. مازال امامنا وقت لذلك قبل موعد الشاي.»

ولم تكن هي مستعدة لذلك، في الواقع، ولكنها لم تجد ما تعتذر به، فسألته: «وماذا ألبس؟»

فأجاب: «بنطلون جينز وحذاء سير مؤقتاً إلى أن نحضر اليك

الملابس المناسبة. وسأعطيك قبعة تنفع للوقت الحاضر. ولكن عليك ان تعطي قياسك لاحضار قبعة لك قبل ان تبدأي بالركوب جدياً، وستبدين اليوم في تعلم مسك اللجام.»

وفكرت كارين، بتلك السخرية التي صارت تلازمها هذه الأيام، فكرت في هذا الأمر التافه الذي عليها ان تتعلمه.

وانتظرها هو في القاعة، بينما صعدت هي إلى غرفتها لاستبدال ملابسها، ان تعلم ركوب الخيل كان جزءاً من خطتها لتوثيق الصلة بينهما، ولكنها تشك الآن في أن ذلك قد ينفع. ذلك ان الصدع بينهما قد اتسع عما كان عليه.

توهمت صوت مفاجيء في اعماقها يقول عودي اذن، فاقفليه. اجعلي هذا الزواج ناجحاً. فاذا كان غالياً عليك، فهو يستحق ان تجاهدي لأجله.

وسألت صورتها في المرآة وهي تقفل ازرار قميصها، نعم، ولكن كيف؟ ان مارغوت تتفوق عليها بالسن والخبرة بالرجال. وكل ما تملكه هي هو حداثة السن وعدم الثقة بالنفس، لقد تزوجها لوغان لأسباب خاطئة. وان جعله يشعر نحوها بما تحب ان يشعر يستوجب اكثر من مجرد التمني.

ولكنها، مع نفورها ذاك من تعلم الركوب، فقد وجدت المهرة المطواعة التي تسمى دورا ودوداً رائعة.

وعلمها لوغان اولاً كيف تضع اللجام قائلاً ان عليها ان تقوم بذلك بنفسها من الآن فصاعداً، ودفعت كارين اللجام بحذر، بين الأسنان المخيفة المنظر للمهرة، ولكن دورا تقبلت ذلك دون مانعة، ما شجعها على ان تضع الحزام حول البطن، لتشعر بعد ان اوثقت اخر اربطة السرج، بأنها قامت فعلاً بانجاز طيب.

ولكن لوغان قال: «انتظري عدة ثوان، ثم عودي فشدي الرباط اكثر، ولا تخافي فلن يؤلمها ذلك، لأن الخيل تتعمد نفخ بطونها عندما تحزم، ليرتخي الحزام بعد ذلك. وفي هذه الحالة ينزلق السرج عن ظهرها.»

ولم تثق كارين بكلامه تماماً، ولكنها اطاعته في ذلك ما جعل الفرس تنظر اليها مؤنبة. وعندما امتطت ظهرها بمساعدة لوغان، رأت نفسها كثيرة الارتفاع عن الأرض. فقد كانت المرة الوحيدة التي امتطت فيها ظهر الخيل، لمسافة ابعد بالطبع.

قادها، والفرس، الى باحة التدريب المسيجة، حيث امضى عشر دقائق يطوف بهما واللجام بيده. وابتدأت كارين تستمتع بذلك، وقد اشعرها الدفء المنبعث من جسم الفرس، الى رائحة الجلد، بالاسترخاء.

وقال لها: «ان جلوسك يبدو طبيعياً، هل لديك الاستعداد لتجربي السير خبباً؟»

وكانت كارين مستعدة لكل شيء فقالت: «ولِمَ لا؟»

وبعد ذلك بلحظات، بدا انها على وشك ان يُفلت منها زمام الأمر. ولم يعد باستطاعتها ان تتجاوب في جلوسها مع حركة الفرس، ما كانت نتيجة المزيد من الاهتزاز والارتجاج بعنف ما هدد بانزلاقها من مكانها.

ولهثت وهي تقول: «توقف عن ذلك، يا لوغان لا استطيع ان اقوم به.»

فقال مصراً: «بل تستطيعين اضغطي على الركاب وانهضي بنفسك. وتجاوبي مع حركة الفرس.»

وفجأة اصبح كل شيء طبيعياً كالتنفس، وذلك عندما

امكنها السيطرة على وضعها. وامكنها ان تتصرف في حالتي البطء والسرعة. واخذت تضحك وقد تألقت عيناها الى درجة جعلتها توشك على الاحتجاج عندما توقف لوغان عن السير.

وقال بحزم: «هذا يكفي اليوم.» وامسك برأس الفرس، وهو يهتف بكارين قائلاً وهو يراها تهم بالنزول: «كلا، ليس بهذا الشكل، خلصي قدميك من الركاب اولاً، ثم ارفعي قدمك اليمنى فوق ظهرها ثم انزلقي بعد ذلك، إلى الأرض. وبهذه الطريقة، لا تتعرضين لخطر الوقوع.»

وفعلت ما قاله لها، وأخذت تربت على عنق الفرس وهي تقول لها: «سنتابع ذلك غداً، يا دورا!»

فهتف لوغان مسروراً: «هكذا ينبغي أن تعامليها. سيكون بامكانك الركوب بشكل عادي في العطلة الاسبوعية. طبعاً تحت اشرافي.»

فقالت بلهفة: «سأنتظر ذلك بكل شوق.»

فرفع حاجبه تهمكاً وهي يقول: «الا تمانعين في أن تكوني تحت اشراف احد؟»

فأجابت: «هنالك نوعان من الاشراف. وفي موضوع ركوب الخيل، فانا غير مؤهلة للركوب بنفسي.»

فقال: «ولكنك تعتبرين نفسك مؤهلة للطواف وحدك بالسيارة ليلاً في الطرق الريفية.»

فقالت: «هذا الأمر يختلف، فقد اقفلت عليّ أبواب السيارة.»

فقال: «هذا لا يشكل عقبة كبرى أمام من يقصدك بهجوم. في الأيام الماضية، كان الشخص يشعر بالأمان، بعكس هذه

الأيام. لقد عرض دنكان بأن يمر لأخذك معه عند القيام بالتجارب ثم يعيدك إلى المنزل. وهذا يرضيني أنا أكثر.»

وفكرت كارين في أن هذا يرضيه بالطبع، لأنها لن تكون معرضة لخداع تود.

فأجابت وهي ترتجف، مشيحة بنظرها عنه نحو الفرس: «ليس لك الحق في أن تقوم مع دنكان بتدبير شؤوني، من وراء ظهري.»

فقال: «أنا لم أقل انني قبلت عرضه ذاك، إنما قلت له إنك قد تفضلين ذلك.» وبدت في لهجته لمحة من فروغ الصبر وهو يتابع قائلاً: «متى ستتوقفين عن التصرف كمراهقة ثائرة، لتبدأي بالتصرف بالمنطق؟»

فأجابت: «في الوقت الذي تتوقف فيه أنت عن تمثيل دور الزوج القلق، وتكون صادقاً أنت مع نفسك.» وهنا، اخرجها الغضب عن طورها، فتابعت تقول: «انك لا تثق بي، أليس كذلك؟ انك تظنني سأشجع تود؟ حسناً، ما يمكن اعتباره هنا، يمكن اعتباره هناك.»

وأخذت الفرس تتحرك بقلق بعد أن شعرت بتوتر الجو حولها، فأمسك بها لوغان يلاطفها مهدئاً، قبل ان يعود فيستدير ليواجهه كارين بنظرة فولانية، وكانت هذه قد وقفت جانباً متجنبة حوافر الفرس الجديدة. وقال لها بهدوء: «سنتابع هذا النقاش بعد أن اعيد دورا إلى مربطها. اقتربي منها وتحدثي اليها، دعيها تعلم بأنها ليست هي من أثار غضبك.»

فامتثلت لما قال بعد أن ندمت لثورتها تلك. ولكنها قد اتهمته وانتهى الأمر، وهي لن تدع الأمر يمر الآن دون ايضاح كل شيء.

ان بإمكانه ان ينكر كل علاقة له بما رغوت، بطبيعة الحال، فليس لديها برهان دافع، بل مجرد تناسب ظروف تدعو للشبهة.

وطلب منها أن تقود الفرس إلى مربطها، وترفع عنها اللجام، ثم تمسدها فترة قبل ان تتركها. ولو لم تكن كارين تتوقع ما سيكون بينها وبينه، لشعرت بسرور بالغ وهي تقوم بذلك.

وكان لوغان يبدو، ظاهراً هادئاً تماماً، ولكن خطأ صارماً كان حول فكه نبهها بأنه بعيد، في الواقع، عن مثل هذا الهدوء.

وقال لها اخيراً: «هذا يكفي الآن، فدعينا نتمشى قليلاً.»

وأخذا يتمشيان صامتين عدة دقائق، فكارين لم تستطع أن تجد شيئاً تقوله، بينما لم يحاول هو أن يتكلم.

وعندما تركا الساحة، اتخذ الطريق الذي يؤدي إلى النهر، ليقف عند اول بوابة متكئاً عليها بمرفقيه وهو يسرح انظاره في الحقول المترامية امامه.

وقال: «حسناً، فلنبدأ.»

وجف حلقها، وحاولت أن تفتش في ذهنها عن مخرج. وأحياناً يكون الانكار سيئاً بقدر ما هو الاعتراف، لأنها مازالت غير متأكدة مما تظنه.

وقالت مراوغة: «لقد ساءني ان تطلب من دنكان ان يضعني تحت المراقبة. ربما كنت على شيء من الحماقة اذ اجتاز البراري الليلة الماضية. ولكن احتمال حدوث شيء لي، هو حجة ضعيفة.»

فقال: «سنعود إلى هذا الموضوع فيما بعد، ولكنني الآن

اريد أن اعلم ما الذي قصدته بقولك وما يمكن اعتباره هنا، يمكن اعتباره هناك.»

ولم يعد أمامها من مهرب، فقالت باستسلام: «أظن الأمر واضحاً، لماذا تثير مسألة تود في حين تقابل مارغوت خفية؟»

ولو كانت كارين قد توقعت حقاً منه ان ينكر ذلك فوراً، فقد خاب املها. ذلك ان لوغان لم تطرف له عين، بل حول وجهه اليها ببساطة ثم اخذ يمعن النظر اليها مفكراً، ليقول بعد ذلك: «من اين جاءتك تلك الفكرة؟»

فأجابت: «انك ذهبت الى تيتفورد بعد ظهر امس. وقد علمت بالصدفة ان مارغوت كانت هناك هي ايضاً.»

فقال: «هذا صحيح، لقد كانت هناك.»

وسقط قلبها لهذا الاثبات الهادىء، وحدقت فيه وهي تجاهد في السيطرة على مشاعرها وهي تقول: «أظنك ستخبرني أن الأمر كان مجرد صدفة.»

فأجاب بوجه صارم الملامح ولقد لوى شفتيه: «كلا، لقد كان اجتماعاً مدبراً. ولكن ليس للسبب الذي تظنين.»

فقالت: «وما هو السبب اذن؟»

فأجاب: «ان هذا سر بيننا نحن الاثنين.» وعندما فتحت فمها لتحتج، هز رأسه ليتابع قائلاً: «عليك ان تثقي بي يا كارين.»

فسألته: «هل بالطريقة التي تثق أنت بي فيها؟»

فتأوه بعمق: «انني اعرف تود غارفليد فقد تنافسنا اكثر من مرة. وليس ثمة شيء أحب إلى قلبه من أن يُدخل المشاكل بيننا، أنا وأنت خاصة بالنسبة لحالة زواجه الفاشل.»

فقالت: «ولكنهما، هو وافريل، على وفاق الآن كما يبدو.»

فقال: «هذا تظاهر فقط، وهي لم تكن تعرفه قبل الزواج، على حقيقته كما تعرفه الآن.»

فقالت دون ان تخفي نبرة التهكم في صوتها:

«اتعني ان عليها أن تثق بك هي أيضاً؟»

فأجاب: «انها ليست بحاجة إلى الثقة بي. فأنا اعرفها منذ مدة طويلة.»

فسألته: «لماذا اذن لم تتزوجها، أنت نفسك، وتنقذها منه؟»

فأجاب: «لم تكن معرفتنا من ذلك النوع من العلاقات قط.» واستقام بجسمه فجأة وهو يقول: «اننا لن نصل إلى شيء اذا نحن بقينا في مثل هذه الأحاديث. اذا أنت لم تقبلي عرض دنكان، فانني سآخذك بنفسي الى مقر الفرقة اثناء اجراء التجارب. فانني على الأقل، سأكون متأكداً من اعادتك الى المنزل سالمة.»

فقالت: «لتضيع وقتك هناك في انتظار انتهائي لكي تعود بي؟ أم لعل في ذهنك نوعاً آخر من تضييع الوقت؟»

فنظر اليها طويلاً ثم قال: «انك، في الواقع، لا تقصدين سوى الأخذ بالثأر. انني مستعد الى الالتحاق أنا ايضاً بتلك الفرقة اذا كان في هذا ما يريحك من الشكوك.»

فقالت: «لا اريدك ان تقوم بأي تضحية من اجلي.»

فقال: «اما ان تقبلي بهذا، وإما أن تذهبي مع دنكان كما اتفقنا.» وتحول اليها بعنف متابعاً: «انني جاد في هذا، يا كارين وأنا متأكد من أن أمي ستوافقني على هذا الرأي.»

فقالت: «وبكلمة اخرى، انك ستطلب منها ان تستعيد مني

السيارة. حسناً، هذا جميل. تابع كلامك.» وكانت كارين من الشعور بالنقمة بحيث لم تعد تهتم بما كانت تقول. كان كل ما تريده هو ان تعرف ما يخفيه عنها، وهي تتابع قولها: «انما لا تتوقع مني ان اصدق انك ومارغوت جلستما فقط تتحدثان. اتظنني بهذه السذاجة؟»

وللحظة، بدا عليه وكأنها نجحت في جعله يفقد السيطرة على نفسه. فلمعت عيناه وهو يصر على اسنانه ولكن ذلك كان للحظة واحدة تمالك بعدها نفسه، فقال: «صدقي ما تريدين ان تصدقي. فأنا رجل مشغول.» ووقفت كارين متسمرة في مكانها تنظر اليه وهو يعود من حيث اتى، وقد ابتدأت الآن فقط، تدرك انها ربما كانت على خطأ. وأرادت أن تناديه لكي يعود، ولكن اسمه التصق في حلقها. كان من غير المحتمل ان يجيبها على كل حال. فقد بدا عليه تماماً انه قد وصل إلى نهاية صبره.

ولكن، اي شيء غير هذا السبب الواضح، يجعله يقابل مارغوت سراً؟ لقد كانا صديقين في الماضي، وقد بدا على مارغوت بوضوح، ليلة الحفلة انه مازال مدار اهتمامها.

لقد اعتاد على الحرية في علاقاته مع النساء طوال شبابه، وشيء تافه كالزواج لايمكن ان يقيده.

وأخذت تراقب تلك القامة الفارعة تبتعد عنها شيئاً فشيئاً، بينما هي تتساءل وقد غمرتها التعاسة اذا كان اسبوع واحد قد انتهى الى ما انتهى اليه... فالى اين سيصلان؟

الفصل التاسع

كانت هيلين تنتظر في شرفة مدخل المنزل، وأمامها عربة الشاي عندما عادت كارين إلى المنزل.

وقالت هيلين باسمة: «كنت قد ابتدأت أظن أنني أصبحت مهجورة. هل كنتما تتمشيان؟»

فأجابت كارين: «كلا، كنت أتلقى درساً في ركوب الخيل.» وجرّت كرسياً جلست عليه وهي تتناول كوب الشاي من يد حماتها شاكرة.

وسألتها هذه: «وكيف كان الدرس؟»

فأجابت كارين: «كان ممتازاً. كان ممتعاً جداً.» وكانت تجاهد في أن لاينمّ صوتها عما يغمر نفسها من قنوط واكتئاب.

وعادت الحماة تقول: «إنك إذن، ستتابعين دروسك هذه؟»

وكان لدى كارين جواب واحد وهو: «بالطبع.»

فقالت الحماة: «هذا حسن. إن كل فوائد الزواج تأتي نتيجة المشاركة في الاهتمامات. ربما بامكانك أن تقنعي لوغان بالانضمام إلى الفرقة التمثيلية هو أيضاً.»

فأجابت كارين: «إنه في الحقيقة، قد سبق وأبدى رغبته في ذلك. ولكن فقط لكي يمنعني من أن أعود بالسيارة بمفردي إلى المنزل، وهذا لا يشكل سبباً وجيهاً للانضمام إلى الفرقة.»

فلمعت في عيني هيلين نظرة فطنة وهي تقول: «هذا شيء مفهوم في هذا الزمن. لقد هوجمت امرأة منذ ليالٍ فقط

وهي تسير إلى سيارتها. ولوغان يهتم بأن لا يترك فرصة لمثل هذا الأمر أن يحدث لك.»

فقالت كارين: «هذا غير محتمل، إلا إذا أنا تأخرت إلى ما بعد خروج الجميع. على كل حال. لا أظنه يهتم بي بهذا الشكل لو أنني في العاشرة من عمري.»

وبانت نبرة ضئيلة من الحدّة في صوت الحماة وهي تقول: «أتراك تفضلين أن لا يكترث لما قد يصيبك؟ إن سنك هذا يجعله أكثر اصراراً على حمايتك. وهذه ليست جريمة.»

وعضت كارين شفتها وقد انتبهت إلى أنها ضايقت المرأة المسنة. فقالت: «كلا، ليس هذا أبداً. وإنما فقط يجعلني أشعر بأنني ما زلت تلميذة مدرسة.»

فعادت هيلين تبتسم قائلة: «وأنت تفضلين أن يعتبروك امرأة متزوجة مسؤولة؟ لا تسارعي في التخلي عن شبابك فهو لا يأتي إلا مرة واحدة، وفي نفس الوقت هل تجدين كل تلك المشقة في أن تسامحي لوغان، حتى انه استعدّ لكي يلتحق بالفرقة التمثيلية لأجلك؟»

وإزاء هذا، لم يعد أمام كارين إلا الاذعان، فقالت: «ليس عليه أن يقوم بذلك، إن دنكان قال إنه سيوصلني بنفسه.»

فقالت: «حسناً، إذن فهذا خيارك أنت.»

وفكرت كارين في أنه اختيار محدود جداً، في الواقع. إن بامكان حماتها أن تتحدث عن الحل الوسط، ولكن ذلك لا ينفع مع ابنها.

ولكراهيتها مواجهة لوغان مرة أخرى، اغتسلت وارتدت ملابس مناسبة للمساء قبل أن يعود إلى المنزل، ثم أمضت الساعة التالية في المكتبة تطالع كتاباً.

وأن يتاح لها الوقت للقراءة في مكتبة غنية بالأدب والثقافة هو شيء لا يثمن ومن المفروض أن تدرك قيمته. ذلك أن كثيرين سيعتبرون أنفسهم محظوظين لو انهم وصلوا إلى ما وصلت هي إليه. كانت تعلم ذلك. ولكنها كانت تعلم أيضاً أنها تتنازل عن كل شيء بكامل إرادتها، فقط في سبيل أن تسمع من لوغان كلمة واحدة، هي (أحبك) على أن يقولها من كل قلبه.

ودخل لوغان المكتبة أولاً، فوقفت على قدميها تعيد الكتاب إلى موضعه، متظاهرة بقراءة عناوين كتب أخرى، بينما سكب هو لنفسه كوباً من العصير.

وما لبث أن سكب لها كوباً، ليجلس بعد ذلك على نفس الأريكة التي كانت تجلس عليها كارين. واعترفت لنفسها بأن من غير اللائق أن تغيّر مقعدها لتبتعد عنه، بسبب ما حدث بينهما عصر ذلك اليوم.

وكانت الأريكة تتسع لاثنين فقط، ما وجدت معه من المستحيل أن تبقى مقاطعة له. ولاحظت أن قميصه الطويل الكمين كان بني اللون مماثلاً بذلك للون قميصها هي. وأشاع هذا الخاطر لمحة هزل في نفسها.

ووجدت نفسها تندفع بالقول: «لقد قرّرت أن أدع دنكان يمرّ عليّ ليأخذني معه عند القيام بالتجارب.»

فسألها: «ولماذا هذا التغيّر المفاجيء في رأيك؟»

فأجابت: «بسبب شيء قالته أمك. إنني...»

فقاطعها بلهجة لاذعة: «جميل أن أراك تهتمين برأي شخص ما... سنتحدث في ذلك فيما بعد.»

فقالت: «ليس هناك شيء لنتحدث عنه، لقد نلت ما تريد، ألا يكفي هذا؟»

فقال بعنف وقد توترت ملامحه: «هل هذا هو كل...» وسكت برهة ليأخذ جرعة من كوبه ثم يقول بلهجة متوترة: «قلت فيما بعد.»

وكان في دخول هيلين ما أشعرها بالراحة. وكان واضحاً من نقل هذه لبصرها بينهما أنها شعرت بالجوّ المتوتر بينهما. ولكنها لم تعلّق بشيء، انما بدا عليها الانزعاج. وكانت كارين تتمنى لو أمكنها تطمينها. ولكن، عمّ تطمئنها؟ ذلك أن لوغان كان يريد استسلاماً تاماً لإرادته، وهذا ما لم تكن هي مستعدة لتحمّله.

ومر المساء. ولم يبد لوغان أية إشارة تنمّ عن عدم الانسجام بينهما في معاملته لها، ولكنها كانت تعلم بوجود ذلك. لا يمكن للأمور أن تستمر بهذا الشكل. وساورتها التعاسة وهي تفكر بذلك، إن ما بينهما ليس زواجاً، وإنما شبه زواج.

وتركز معظم الحديث على خطط لوغان بالنسبة لمزرعة الخيول. وكما رأت كارين كانت أمه هي التي بدأت هذا الموضوع. وقد وجدت كارين الموضوع ممتعاً الآن بعد ان ابتدأت تشعر بالعطف على الحيوانات. فهي لم تدرك من قبل مبلغ البهجة التي تبعثها سيطرتها على مثل هذه المخلوقات، وفي الشعور بها تتحرك تحت إمرتها. إنها ما زالت حتى الآن ترهب منظر فحول الخيل لحجمها وقوتها وطباعها، ولكنها قد تتعلم معالجة أمرها، هي أيضاً إذا توفر لها الوقت والفرصة لذلك. إن كل ما يلزم لذلك هو الإرادة.

وقالت هيلين وهي تلاحظ أن العمل سيبدأ في الاصطبلات الملحقة وفي الباحة الداخلية، في الأسبوع

القادم: «إن قيامك بالعمل كان سريعاً بالتأكيد. وعند نهاية الصيف، سيكون كل شيء جاهزاً للعمل، وهذا يعني أن بامكانك أن تفتش عن مشترٍ.» ولاحت على فمها ابتسامة خفيفة عندما رفع ابنها رأسه بعنف، وتابعت تقول: «إنك لا تظن طبعاً أنني أتوقع منك أن تبقى هنا إلى الأبد. أليس كذلك؟ لقد كنت رأيت نمط حياتك في استراليا، أتذكر؟ إنني أشعر بمقدار الانقباض الذي تشعر به هنا الآن. لقد كنت من الأنانية بحيث أردتك أن تبقى معي أثناء ما بقي لي من الحياة، وهذا يكفي.»

ورد عليها لوغان باكتئاب: «إنك دوماً تعرفين ما يدور بنفسي. وإذا عدت إلى هناك فإنني سأحرص على أن تذهب أملاكنا هذه إلى من هو أهل لذلك.»

فقالت أمه: «ولماذا كلمة إذا هذه؟ فإن هذا ما ترغب فيه أنت.» وانتقلت أنظارها إلى كارين تسألها: «ما رأيك أنت بهذا؟»

فأجابت هذه مراوغة: «إنني لم أجد فرصة بعد للتفكير في هذا الأمر.» وأشاحت بوجهها بأسى وهي تتابع قائلة: «لا أدري كيف تتحدثان عن هذا الأمر بمثل هذا الهدوء.»

فأجابت الحماة: «لقد أمضيت سنة ونصف أعوّد نفسي على هذا. ذلك ان لا شفاء لما أعاني. هناك فقط تهدئة للآلام. والزمن يمرّ.» وعادت تبتسم وهي تستطرد قائلة: «إنني لست خائفة من الموت، يا عزيزتي فقد أمضيت حياة طيبة. ما ينبغي للإنسان هو أن يقوم بما يتوجب عليه، لأن لا أحد يعلم ما يأتي به الغد. أعرف أن ما أطلبه هو كثير، ولكنني لا أدري إذا كان بامكانكما، أنت ولوغان أن تحاولا أن يكون لكما طفل أراه قبل رحيلي؟»

فأسرعت كارين تقول دون تفكير: «سنحاول جهدنا، أليس كذلك يا لوغان؟»

فأجاب بصوت هادىء: «بكل تأكيد.» وكان وجهه جامد التعبير وهو يقول ذلك.

فقالت الأم: «في كل الأحوال، سأصعد إلى غرفتي لكي أحلم بذلك.»

وبعد خروجها، ساد الصمت عدة دقائق، وكان لوغان هو الذي اخترقه بسؤاله لها: «هل هذا حقاً ما تريدين؟ أم انك قلت هذا لكي ترضي والدتي؟»

كان سؤالاً صعباً، وأخيراً قالت: «ليس لديّ أيّ اعتراض إذا لم يكن عندك أنت.»

فقال: «ليس هذا هو السؤال. أعني هل تريدين طفلاً وأنت في الثامنة عشرة؟»

فأجابت: «عندما يأتي الطفل سأكون في التاسعة عشرة حتى ولو ابتدأ الحمل الآن.» ولم تكن تنظر إليه مباشرة وهي تتابع قائلة: «وربما كان الحمل سبق وحدث.»

فقال: «نعم أعلم هذا، وهو قصر في النظر مني. كان عليّ أن أفكر في هذا.»

وقالت بنبرة واقعية: «إذا كان ذلك قد حدث، فلا حاجة اذن للتصميم أو عدمه. ولكن، في أية حال، بما انك سبق ووعدت أمك...»

فقاطعها قائلاً: «لقد كانت تستغل عواطفنا. ليس ثمة ما يضطرك لتحقيق هذا الوعد.»

فردّت عليه بسرعة قائلة: «ربما من السهل عليك أن تخلف بوعدك. ولكن ليس أنا من يفعل ذلك. الوعد هو الوعد.»

فقال باختصار: «هذا عظيم إذن، فالأفضل أن نبدأ بالأمر حالاً، أليس كذلك؟»

وعندما وقف، حدّقت فيه دون أن تتحرك، وقد أخذ قلبها ينبض بسرعة وقوة.

فقالت: «إذا كنت تريدني أن أصدّق أن لا شيء بينك وبين مارغوت، فأخبرني بما تحدثتما به عصر أمس.»

فأجاب: «لقد سبق وقلت لك، لا.»

وتغلب ألمها على كل شيء آخر، فردّت عليه بحدة: «إذن، اصعد إلى الغرفة بمفردك.»

فقال متهكماً يذكرها بكلامها: «الوعد هو الوعد. إننا سنقوم بالوفاء بهذا الوعد بكل ما في امكاننا، من يدري فقد يسرع الحمل في نضوجك.»

تساءلت عن هذا فجأة. هل هي حقاً غير ناضجة كما يعتقد هو؟ لقد أمضت طوال الأسبوع الماضي، أو معظمه في النزاع معه، فإلى أين أوصلها ذلك؟ فهو إذا أخذ يفتش عن امرأة أخرى لكي يشعر معها بالراحة، فإن الذنب في ذلك، سيكون ذنبها هي وعليها وحدها يقع اللوم.

وتحت الدوش والماء ينصب فوقها، أخذت تفكر وتفكر. مهما كان السبب الذي جعل لوغان يتزوجها بعيداً عن المثالية، فإنهما متزوجان الآن وقد حان الوقت لجعله زواجاً حقيقياً دائماً. وأول ما ينبغي عليها هو أن تصدقه بالنسبة إلى مارغوت، حتى ولو استمر في رفض التصريح بالسبب الذي جعلهما يتقابلان. وفي نفس الوقت، عليه أن يصدق أنها لا تكن أيّ اهتمام بتود غارفيلد.

وصل دنكان في السادسة والنصف، وبقي قرابة الربع

ساعة يتحدث مع هيلين في شؤون مختلفة قبل أن يخرج مع كارين إلى نورويتش. وكان لوغان ما يزال في الاصطبلات. ولم تكن هي قد رأته منذ وقت الغداء.

وفي السيارة، قال لها دنكان: «كان حسناً منك أن توافقي على هذا. ذلك أننا نعيش في زمن قذر تتعرض فيه المرأة إلى الأخطار، ولكن هذا هو الموجود. لقد اهتممت بأمرك يوم الاربعاء الماضي، خصوصاً عندما اتصل بي لوغان هاتفياً ليسأل عن الوقت الذي تركت فيه أنت مقر الفرقة. وقد شعرت براحة حقيقية عندما عاد فاتصل بي ليخبرني بوصولك آمنة.» ورمقها بنظرة جانبية وقد لاحت ابتسامة على شفتيه وهو يتابع قائلاً: «لا يبدو عليك الحماس لهذا الأمر، أليس كذلك.»

فأجابت: «كلا. مع شكري الجزيل طبعاً... حسناً، هل يستولي عليك القلق بشأن مارغوت أيضاً كما تقلق عليّ؟»

فتلاشت ابتسامته وهو يقول: «إن أمر مارغوت مختلف. فهي تتصرف حسب مشيئتها دون اكتراث بأحد. إنها هكذا دوماً.»

فسألته: «وهل كنت تعرف ذلك قبل أن تتزوجها؟» انطلقت هذه الكلمات من فمها قبل أن تتداركها. وشعرت بالذعر لوقاحتها هذه فأسرعت تقول: «إنني آسفة لتطفلي هذا.»

فهز كتفيه غير مكترث باعتذارها وهو يجيبها قائلاً: «إن الكل يعلم أن زواجنا في محنة، ذلك أنه كان غلطة منذ البداية، وذلك من الجانبين. لقد كانت زوجتي الأولى بعكسها تماماً. وقد ماتت بنفس المرض الذي تعاني منه هيلين حماتك.»

فنظرت كارين إليه بسرعة، وهي تقول: «لم أكن أعلم أن هناك من يعلم بمرضها من خارج المنزل.»

فأجاب: «لقد أدركت عوارض المرض. وأنت الآن قد أكدت ذلك بهذا الجواب.» وعندما رأى الانزعاج يبدو عليها استطرد قائلاً: «إنني لن أنشر هذا الخبر. فإن زوجتي السابقة كانت هي أيضاً تكره أن ينشر خبر مرضها. لقد كانت في التاسعة عشرة عندما تزوجنا.»

فسألته: «لا أظنك كنت تكبرها كثيراً في السن.»

فأجاب: «كنت في الخامسة والعشرين، ولكن فارق السن ليس هو المهم، وإنما شعورك نحو الشخص. إن لوغان هو رجل ممتاز، ومن الطبيعي أن يهتم لما فيه خيرك. فلا تستنكري ذلك لمجرد رغبتك بالاحتفاظ باستقلالك كامرأة.»

وتساءلت هي إن كان يبقى على اعتباره بأن لوغان هو رجل ممتاز لو أنه علم باجتماع أمس. ذلك أن مارغوت ما زالت زوجته بصرف النظر عما يحدث بينهما من مشكلات زوجية.

وقالت وهي تخفف من توترها: «إنني أحاول ألا أفعل ذلك.» ثمة أشياء في معظم العلاقات أكثر عمقاً من مجرد المعرفة السطحية. لقد أصبحت الآن تدرك هذه الحقيقة.

وفي ذلك المساء، لم يقوموا بعمل كثير، عدا عن قراءة النص. كانت التمثيلية عبارة عن ملهاة شاعرية، تتخللها الكثير من المواقف المضحكة مصحوبة بقصة غرامية رقيقة أيضاً. وكان دور كارين هو دور فتاة صغيرة تحب رجلاً أكبر منها سناً مع أن فرق العمر بينهما كان في الحقيقة أقل منه بينها وبين زوجها. وقد كانت لقصتهما نهاية سعيدة

مما جعلها ترجو أن تنتهي قصتها مع لوغان بنفس النهاية.

وكان تود في منتهى التعاون، دون أن يغفل انتقاد لوغان لما أسماه تصرف أب ثقيل عندما علم بالتدبير الذي اتفق عليه مع دنكان بشأن كارين.

وقال لها باستخفاف: «إياك أن تسمحي له بأن يملي عليك ما يجب أن تفعلي. كنت أظنك أقوى شخصية من ذلك.»

فقالت بلهجة الدفاع: «لقد قدم دنكان هذا العرض، وليس من اللائق ان اقذف به في وجهه.»

فقال تود: «إنهما رجلان من نفس النوع ودوماً كانا كذلك. وأنا لم استطع أن أفهم قط ما الذي جذب مارغوت إليهما. فهي ليست من النوع المستخذي.»

وفكرت كارين في أنها هي أيضاً، ليست من هذا النوع، ولكن هذا لم يمنعها من الوقوع في غرام لوغان. وبالتأكيد، لو كانت مارغوت مكانها لما قبلت بأن يراقباها، كما يفعلان معها. ولكن من الجلي أن مارغوت بإمكانها رعاية نفسها بنفسها.

وقال تود وهو يراقب ما يطرأ على ملامحها من تعبير: «اتعلمين أنها وزوجها سينفصلان؟»

فأجابت بحدة: «هذا ليس من شأني.»

فلوى شفتيه وهو يقول: «قد يكون هذا من شأنك إذا كانت مارغوت ماتزال تلاحق زوجك، إن ما تريده مارغوت تبذل جهدها في سبيله.»

فردت عليه بسرعة وبلهجة لاذعة: «هذا صعب عليها.»

فأجاب: «اتعلمين ماذا يقال عن...»

وقاطعهما صوت دنكان: «إذا كنت قد أنهيت قهوتك فمن الأفضل أن نشرع في السير.»

فأجفلت كارين لرؤيته، فهي لم تره وهو يقترب منهما.

وكان من الصعب أن تدرك من ملامحه ما إذا كان قد سمع شيئاً من حديثهما، مع أنها كانت تعلم أنه، في هذه الحالة، ما كان ليبدي ما ينم عن ذلك، فقد كان ما قاله تود عنه وعن لوغان من أنهما متماثلان، كان صحيحاً من نواحٍ عديدة.

وقالت: «إنني مستعدة للخروج.»

وكانت زوجة تود تبدو مرة أخرى، خاضعة مستسلمة. وحاولت كارين أن تبتسم لها مطمئنة تظهر لها بذلك، أنها غير مهتمة بزوجها. ولكن الشك راودها في أنها نجحت في ذلك. وصممت، بينها وبين نفسها، على أن لا تقبل بأن ينفرد بها تود في المرة القادمة، وستخبره بأن يتركها وشأنها.

وفي طريقهما، هي ودنكان، إلى المنزل، كان من السهل عليها أن تخبره بتصميمها هذا عندما اقترح عليها، بشكل ما، أن تبقى بعيدة عن تود. ولكن الاستياء كان قد تملكها إذ ظنت في قوله هذا، انتقاداً لسلوكها، كما أنه لا بد وأن يكون لوغان هو الذي طلب منه مراقبتها. وثارت ثائرتها لهذه الفكرة التي أرتها أن أقل ما يمكن أن يوصف به لوغان أنه بوجهين، إذ يراقبها هي بينما يجتمع سراً مع زوجة دنكان مهما كان السبب.

وردّت عليه متكلفة الأدب: «لا أرى هناك سبباً لتجنب الجلوس مع تود غارفيلد. فليس ثمة ضرر من التحدث مع بعض الناس. أليس كذلك؟»

فأجاب بصوت هادىء: «ليس هذا ما أعنيه، إن النساء يجدن تود غاية في الجاذبية، وهو ينتهز هذا الأمر.»

فقالت: «هذا يحدث إذا هن سمحن بذلك أن يحدث، شكراً لك، فإنني قادرة على رد أيّ انتهازي.»

فقال برقة: «هذا حسن ما دمت تدركين ذلك.»

حسناً، لقد أدى وظيفته في انذارها. ولكن العين ما زالت تراقب حركاتها. لقد كانت كارين متأكدة من ذلك. إن لوغان ودنكان كما يبدو يعتقدان بأنها غير قادرة على ردع تود، وكأن ذلك العبث البسيط الذي حدث بينها وبين تود أثناء حفلة يوم العشاء مساء الاثنين الماضي، كان سبباً للاشتباه في أخلاقها، وهذا غير صحيح إطلاقاً.

لقد ترك الموضوع جانباً، بعد ذلك ولكن الضرر كان قد حدث. وشعرت كارين بالألم والغضب اللذين يحتلان كيانها على أهبة الانفجار لدى أقل سبب. ذلك أنه مهما كانت ثقة لوغان قليلة في قوة أخلاقها، فليس معه حق في أن يشرك دنكان في الموضوع. وبالنسبة إليها فهي ليست على استعداد لأن تملى عليها تصرفاتها.

ولم تدع دنكان إلى دخول المنزل عندما أوقف السيارة أمام الباب، بل أوشكت أن تقول له إنها لن تحضر بعد الآن للاشتراك في التمثيل، ولكنها ردّت نفسها عن ذلك في آخر لحظة، ذلك أن لوغان سيكون مسروراً جداً لابعادها عن طريق تود، وهي ليست على استعداد لمنحه هذا السرور، لماذا تريح هي ذهنه من ناحيتها مع تود، بينما هو يرفض أن يخبرها بسبب اجتماعه مع مارغوت ذلك النهار؟ فليظن بها ما يشاء، بل ليظنوا هم جميعاً بها ما شاؤوا.

وعندما دخلت المنزل، جاء لوغان إلى باب غرفة الاستقبال وملابسه تدل على أنه أمضى المساء بطوله مسترخياً في المنزل.

وسألها: «ألم يدخل دنكان؟ لقد صنعت القهوة.»

فأجابت باقتضاب: «لقد سبق وتناولنا القهوة، أظنه ظن أن الوقت متأخر للزيارة.» وأضافت متعمدة: «وعلى كل حال، فإن مارغوت ستبدأ بالتساؤل عن سبب تأخره.»

فلاحت على شفتيه ابتسامة سريعة وهو يقول: «لا شك في ذلك، كيف كانت الأمور معكم؟»

فأجابت: «كل شيء حسن.» ولم تكن تقصد المكر حين استطردت تقول: «وسيقوم تود غارفيلد بدور البطل طبعاً. فهو دوره الذي يناسبه.»

فقال: «إنني متأكد من ذلك.» وضاقت عيناه قليلاً وهو يتابع قائلاً: «أتريدين مزيداً من القهوة؟»

فهزت كارين رأسها وقد ندمت على هذا التلميح ألا يكفي شكوك لوغان في أنها منجذبة إلى تود فتزيد المشكلة بأن تأتي على ذكر اسمه بعد دقيقتين من وصولها؟ ولماذا لا تخبره بالحقيقة؟

ولكنها لم تفعل، لأن قوة ما أمسكت هذه الكلمات عن الانطلاق. لماذا يجب أن تكون هي الوحيدة التي تعاني آلام الغيرة؟ هذا إذا كانت الغيرة هي ما يشعر به؟ ربما لا يحبها لوغان، لكنه يعتبرها ملكاً له.

وقالت: «إنني ذاهبة إلى السرير مباشرة، فأنا متعبة قليلاً.»

وكانت الساعة ما زالت الحادية عشرة. ولكن لم تبد عليه أية ريبة وهو يقول: «سأتبعك بعد قليل.» وتساءلت هي عما إذا كانت مخيلتها هي التي صوّرت لها أن كلماته تحمل تهديداً غامضاً.

واستلقت في سريرها وقتاً خالته دهراً قبل أن يدخل الغرفة في النهاية.

وللمرة الأولى تفتح كارين عينيها في الصباح لتجد لوغان ما زال بجانبها متضايقاً من النهوض في السابعة والنصف.

وفكرت بألم كم تحبه. ولم يعد شعورها ليلة أمس بالمرارة والحسرة، لم يعد هذا الشعور من الأهمية كما كان.

ورغم دهشة هيلين وهي تراهما معاً على مائدة الافطار، ولأول مرة، فإنها لم تظهر ذلك وبدا لكارين أن الارتياح يبدو عليها هذا الصباح، أكثر من المعتاد. وتساءلت عما إذا كان من الممكن أن تتحسن صحتها. وهذا يعني أن خطط لوغان للمستقبل، يجب أن تعدّل بالطبع، ولكنه ما كان ليكره أن تطول حياة أمه قليلاً.

وسألته قبل أن يتركا المائدة: «هل سيكون عندك وقت لتعطيني درساً آخر في الركوب؟»

فأجاب: «بعد الظهر، أما في الصباح فسنذهب نحن الاثنين، إلى نورويتش لنحضر لك الملابس المناسبة للركوب.» والتفت إلى أمه يسألها: «هل تحبين أن تأتي معنا؟»

فابتسمت هيلين وهي تجيب هازة رأسها: «إن عليّ أن أكتب بعض الرسائل لماذا لا تتناولان غداءكما في المدينة أثناء وجودكما هناك؟ وسيبقى أمامكما الوقت الكافي لدرس الركوب عند عودتكما.»

فوافق بسهولة قائلاً: «هذه فكرة جيدة. هل ما زال مطعم جوبلين يعمل؟»

فأجابت: «أعتقد هذا. وإذا لم يكن، فهناك الكثير من المطاعم غيره.»

ولم تهتم كارين إلى أين تذهب، ذلك أن قضاء نهار بطوله مع لوغان، هو يسعدها. وقد يكون بإمكانهما المرور على منزل والديها، أثناء عودتهما. فكلما تعددت رؤيتهما له، أسرع ذلك في تقبلهما له صهراً.

وكانت نتيجة تسوقهما، أفضل مما توقعت. ليس فقط لأنها، اشترت ما يملأ خزانة ملابس الركوب كاملة، ولكن لأن لوغان اقترح عليها أن تغتنم الفرصة لكي تعيد ملء خزانة ملابسها العامة، ما داما في السوق. وكانت كارين تسأله عن ذوقه في ما تشتريه، وقد غمرتها السعادة، لتنتهي بعدة اثواب للخروج من النوع الغالي الثمين الذي لم تحلم قط من قبل، بأن في امكانها ابتياعها من جيبها الخاص.

وقالت له وهما يتناولان طعام الغداء وهي تحسب في ذهنها: «لقد كلفتنا هذه الملابس ثروة كاملة. عليك أن تخصمها من مصروفي الخاص، طبعاً بشرط أن يكفي لذلك.»

فقال باسماً: «لا أرى في ذلك أية مشكلة. متى ستتوقفين عن الشعور بالقلق بشأن النقود؟»

فقالت: «إن ذلك سيأخذ وقتاً، فأنا لم أتعود الانفاق بمثل هذا الاسراف.» وضحكت من كل قلبها وهي تتابع قائلة: «وهذا لا يعني أنني أشكو طبعاً. ومن الذي يشكو من مثل هذا؟»

وتنقلت عيناه الرماديتان بين شعرها الأشقر الكث ووجهها الرقيق الفتي، وهو يجيبها بلطف: «ليس أنا من يشكو.»

واحتبست أنفاسها وقد تملكتها العاطفة. وبادلته

النظرات وقد بدا شعرها واضح في عينيها... يجب أن يعلم كم تحبه. لا بد أنه يعلم، ويا ليت بإمكانها أن تجعله يشعر نحوها كما تشعر هي نحوه، وقال لها بصوت منخفض: «داومي على النظر إليّ بهذا الشكل، فأحتاج إلى دوش بارد قبل أن نخرج من هنا.»

فقالت برعونة: «هذا لا يهمني.»

فأجاب وقد بهتت ابتسامته: «هذا عمل سليم في المكان الخطأ. حاولي أن تدربي نفسك على كيفية تقدير الأمور.»

وطمأنت كارين نفسها وهو يشير إلى النادل ليحضر له ورقة الحساب، طمأنت نفسها بأنه لم يكن جاداً في كلامه. ولا بد أن أحداً آخر لم يسمع ما قالته له. وتمنت لو أن لديها من الشجاعة ما يجعلها تقول له ما تريد حقاً أن تقول.

الفصل العاشر

كانا في السيارة قاصدين المنزل، عندما قال لوغان بشكل عفويّ: «ما رأيك بالذهاب إلى النادي الريفي هذه الليلة؟ فهناك حفلة العشاء الراقصة التي تقام كل شهر.»

فسألته: «ومن غيرنا سيكون هناك؟»

فأجاب: «آه، المجموعة المعتادة كما أظن. لقد سبق وتعرفت إلى العديد منهم.»

وتساءلت إن كان يعني مارغوت أيضاً، وحاولت أن تتجنب هذه الفكرة. فليس هناك فائدة من إعادة موضوع مسألة سبق وأقسم لوغان، انها لم تحدث قط. لقد قال، ثقي بي... وهكذا عليها أن تحاول ذلك.

وأجابت: «نعم، أحب ذلك بشرط أن لا تمانع أمك في قضاء المساء بمفردها.»

فهز رأسه قائلاً: «إن آخر شيء تريده أمي هو أن نبقى نحن الاثنين في المنزل طيلة الوقت. فذلك وحده يجعلها تشعر بازدياد المرض، لقد سبق وذكرت أنها تود حضور فيلم تلفزيوني، وهذا ربما يجعلها ترحب بفرصة بقائها بمفردها، على كل حال.»

وتبادر إلى ذهنها حالاً، ان هذا كله يبدو وكأنه مدبّر من قبل، ما يشير إلى أن قبولها كان أمراً مسلماً به. ولكن، كان عليه أن يحجز مائدة مسبقاً بالطبع. ومن الممكن دوماً، أن يلغى الحجز إذا كانت الظروف لم تساعد على الذهاب.

WWW.RWAYTY.COM

ولم يحاول لوغان أن يؤخر درس الركوب الذي وعدها به، وعندما ارتدت ملابس الركوب والجزمة الطويلة، شعرت بنفسها فارسة حقاً، وامتطى لوغان صهوة بالانتين وبقي ممسكاً بلجام دورا في العشر دقائق الأولى إلى أن اقتنع بقوة كارين على امتطائها بنفسها.

وبقيا في أملاك بانيستر، ولكنهما اجتازا مسافة كبيرة، وكانت كارين أثناء ذلك متلهفة إلى تجربة ركوب حصان.

وقال لوغان مازحاً: «إذا استمر الأمر معك بهذا الشكل لمدة اسبوعين، فستصبحين بعدهما مستعدة لتقدمي عرضاً بالفروسية.» وانحنى يشدّ حزام السرج وهو يتابع قائلاً: «لقد اعتدت ركوب صهوة الفرس كما اعتاد البط الماء.»

فقالت ضاحكة تتصنع التذمر: «لو انك قلت الأوز بدلاً من البط، لكان هذا أحلى تشبيهاً.» فضحك وهو يجيبها قائلاً: «إن البط مخلوق شديد الإغواء يفوق بذلك الإوز، إنه كلام فقط لكي يجعلك سعيدة.»

فاندفعت تقول: «ولكنني سعيدة... سعيدة جداً.»

فاستقام في وقفته ينظر إليها وقد ضاقت عيناه وهو يسألها قائلاً: «هل ثمة سبب خاص لذلك؟» واضطربت الكلمات على شفتيها، ولكنها ما زالت ترفض الاعتراف بحبها، فقالت مراوغة: «ومن ذا الذي لا يكون سعيداً في يوم كهذا، يفعل ما نفعله نحن؟ انني لم أدرك قط ما كان ينقصني.»

فقال: «كلا، طبعاً لم يحدث لك هذا. إنني آسف لاضطراري إلى تعكير هذه النزهة الرائعة، ولكنني أظنك قمت بما يكفي لهذا اليوم. لقد استعملت عضلات من جسمك

لم تعتادي استعمالها من قبل، ولهذا سوف تشعرين ببعض الأوجاع غداً.»

ولم تظهر كارين أي احتجاج وهو يقود بالانتين نحو البوابة. لقد تغير مزاجه دون أن تعرف السبب ربما قد أصابه السأم إذ يخرج مع من هو مبتدىء مثلها وهو الذي اعتاد الانطلاق بحصانه حراً طليقاً.

ولم يبد على هيلين سوى السرور وهي تعلم بخروجهما هذه الليلة. فقد قالت إن ابتداءهما بالخروج معاً، لهو شيء رائع. وإن إعادة عرض فيلم كازابلانكا لن يترك في وقتها أي فراغ. ذلك أن همفري بوغارت هو دوماً الممثل المفضل لديها، وكانت بهذا تطمئن كارين.

وكانت حفلات العشاء الراقصة تستلزم في مناسبات خاصة، الظهور بملابس السهرة كما قال لها لوغان حين سألته عما عليها أن ترتدي، وكان أحد الأثواب التي كانت ابتاعتها هذا الصباح، مناسباً تماماً وإذ كانت ما تزال تذكر ما سبق وقاله في مناسبة قبل هذه، فقد ارتدت ثوباً لونه بني مكشوفاً عند العنق، كانت تنورة مستديرة واسعة، وبدا عقد اللؤلؤ رائعاً عليه، وكذلك الحذاء وحقيبة اليد بلونهما العاجي واللذان كانت قد ابتاعتهما من متجر مارسيل. وبدا مظهرها مختلفاً تماماً عما كان عليه في حفلة يوم الاثنين الماضي.

وقال لوغان: «هذا يبرز شخصيتك الحقيقية.» وأضاف بمرح: «ويبديك بهجة للنظر.»

وهو نفسه كان يبدو رائعاً. كان يعرف كيف يبدو انيقاً تماماً، ونظرت اليه بإعجاب.

إنه زوجها وقد لا يكون هذا الزواج كاملاً كما يجب، ولكنه كان حقيقة واقعة، وسيكونانه معاً على الدوام سواء هنا أم في اوستراليا انها مصممة على ذلك.

وبعد، فهما لم يقوما بزيارة اهلها، وقد تذكرت هذا وهما في طريقهما إلى النادي، لقد رأتهما فقط مرة واحدة منذ عودتها من شهر العسل، وكانت بمفردها، أما لوغان فلم يرهما مطلقاً. وهذا خطأ ينبغي ان يصحح في اقرب وقت، ربما غداً، فيوم الأحد هو الأنسب للزيارات.

كان النادي مقاماً على بقعة فسيحة منعزلة من الأرض. وكان يحوي ملعباً للتنس، وحوضاً داخلياً للسباحة، وحجرة مجهزة للألعاب الرياضية، هذا إلى مطعم ممتاز.

وكان هذا الأخير غاصاً بالحضور، ومرة اخرى، وجدت كارين نفسها اصغر الموجودين سناً، ولكن هذا لم يعد يضايقها. فقد كان بامكانها، بوجود لوغان الى جانبها، أن تتمالك نفسها بين هذه الجموع، أو في أي مكان آخر، بالنسبة لهذا الأمر.

هذه الليلة، بلغ من ثقتها بنفسها أن مارغوت نفسها لم تستطع ان تؤثر فيها، رغم جمالها البادي في ثوبها الياقوتي اللون، ولكن لوغان لم يظهر نحوها اهتماماً اكثر مما اظهر نحو بقية الحاضرات. وشعرت كارين، وهي تقف بجانبه بالسعادة تتملكها.

كان الغداء ممتازاً، وقد اشتركت عدة مجموعات من الحضور في مائدة واحدة مؤلفة من عدة موائد الصقت ببعضها البعض. وعندما طلب من لوغان ان يلتحق بمجموعة دنكان، لم يبد اعتراضاً، مع أن كارين كانت

تفضل أن يمكثا حيث كانا. ولكنها عنفت نفسها بتهمة أنها غير اجتماعية. كلا، لا يمكن لفردين، ولا ينبغي لهما، ان يمضيا وقتهما بأكمله ممنعزلين بنفسهما.

وكان الرقص مع زوجها لأول مرة، كالحلم. لقد رقص أيضاً مع نساء اخريات في الحفلة، بطبيعة الحال. ولم تهتم كارين بذلك الا عندما جاء دور مارغوت ليتقدم اليها يطلبها للرقص. وحاولت كارين أن تتجاهل الألم المفاجيء الذي شعرت به، كما انها بذلت جهدها في أن لا تراقبهما وهما يدوران في حلبة الرقص، ولكنها كانت معركة خاسرة. فقد كانا يتحدثان بشكل هادىء، وينظر الواحد منهما في عيني الآخر بطريقة بعثت في نفسها مزيداً من الشكوك.

كانت افريل زوجة تود ترقص مع أحد الرجال في الحفلة، تاركة تود يجلس بمفرده. فنهض ليستدير حول الموائد متقدماً إلى حيث كانت كارين تجلس، ثم ابتسم لها وهو يقول: «ما دام دنكان ومجموعته منهمكين في حديث عن الأعمال، وزوجتي وزوجك مشغولين، ربما تمنحينني هذه الرقصة.»

وكانت على وشك أن ترفض، عندما وقعت عيناها على الرأسين الأسودي الشعر.

وقالت بحيوية مبالغ فيها: «كنت أخاف ان لا تطلب مني الرقص ابداً.»

وبدت الدهشة على ملامح تود لهذه المودة المفاجئة. ولكن هذا اشبع غروره الذي كان بحاجة الى تعزيز. وما أن اصبحا في الحلبة، حتى قال: «لقد جعلت بقية النساء هنا يظهرن كالجدات. هل عندك فكرة عما تفعلينه بي؟»

وكان لدى كارين فكرة جيدة حقاً عن ذلك، فابتعدت عنه

قليلاً وهي تقاوم الرغبة التي ساورتها في أن ترفسه بركبتها. كان الذنب ذنبها في وجودها معه هنا... كان الذنب ذنبها في أن يأخذ عنها فكرة خاطئة. وأن تقابل لوغان بالمثل لم تعد فكرة حسنة في نظرها الآن.

وعاد يقول: «لا تتدلّلي، لقد قمت بما يكفي من ذلك في حفلة ليلة الاثنين الماضي. لقد جعلتني حقاً أقع تحت تأثير تمثيل تلك الفتاة الصغيرة.»

فقالت مستنكرة: «لم يكن ذلك تمثيلاً، ذلك أن تصرفك لم يعجبني ذلك الوقت، ولا يعجبني الآن. لماذا لا تقتصر على الصداقة فقط مثل دنكان؟»

فأجاب: «لأنك لست مخلوقة لهذا. ولا تظني أنني الوحيد المتأثر بك. إن لوغان هو مثار حسد كل الرجال هنا.»

وفكرت في أنه مخطىء إلى درجة محزنة إذا كان يعني بكلامه هذا أيّ اطراء لها. فلم تكن النتيجة إلا تأكيداً لقلة الفطنة فيه. وشعرت بالأسى لزوجته افريل التي لا بد قد استحالت إلى نوع صبور لكي تتمكن من احتمال هذا الزوج العابث. إن ذلك النوع من الزواج ليس لها، وقد سبق وأدرك لوغان ذلك جيداً.

وأنهيا الرقص بصمت تقريباً، وبدا على تود أنه قد فهم الرسالة جيداً. ولكن كارين عاهدت نفسها على أن لا تشجعه أبداً بعد الآن. وكان لوغان ومارغوت قد عادا إلى مقعديهما، عندما تركت هي وتود الحلبة. وكانت ملامح لوغان جامدة لا تنبىء بشيء.

وتمتم تود بشكر زائف، ليتحوّل بعد ذلك إلى حيث مقعده. وجلست كارين في مقعدها.

وسألها رجل كان يجلس أمامها إن كانت تريد أن ترقص.

فتولّى لوغان الجواب عنها بصوت هادىء ظاهراً، ولكنه يتضمن لهجة لا يمكن أن يخفى معناها، قال: «لا أظن ذلك، شكراً.»

وسحبت كارين نفساً بطيئاً ثم قالت وهي ترتجف: «إن بامكاني أن أتحدث عن نفسي.» وبينما كان الرجل الذي عرض عليها ذلك، يستدير مبتعداً عنها وهو يهز كتفيه بتهكم، عادت هي تقول: «وبامكاني أنا أن أقرّر ما إذا كنت أريد أن أرقص أم لا.»

فأجاب لوغان بهدوء: «كلا، ليس بامكانك ذلك، فأنت سبق وتجاوزت الحدّ وعلى كل حال فقد حان وقت ذهابنا.»

وكانت الساعة لم تكد تتجاوز الحادية عشرة، ولم يكن سواهما يفكر بالذهاب. وهزت كارين رأسها وهي تقول من بين أسنانها: «لا أريد أن أذهب الآن.»

فوقف دافعاً كرسيه إلى الخلف بعنف، ناظراً إليها بعينين تتحدیانها أن تجادله بهذا الشأن وهو يقول: «سأخرج لأحضر السيارة إلى أمام الباب.»

ومرت لحظة فكرت فيها أن تتحداه بصراحة، ولكن ذلك كان للحظة سرعان ما مرت. إذ ليس من المستبعد بالنسبة إليه، أن يجرّها من يدها جراً إذا استلزم الأمر. وكانت مارغوت تراقبهما وقد ارتسمت على شفتيها ابتسامة احتقار خفيفة. يقولون ان ليس بامكان أي رجل أن يخبرها بما عليها أن تفعله مهما كانت الظروف ويبدو أن ليس سواها بين الحاضرين من لاحظ هذا النزاع الذي يجري بينها وبين لوغان، وهكذا لم يكن أمام كارين سوى أن تتوقف عن المقاومة.

وأثار تركهما للحفلة دهشة بين الحضور، فالمساء لم يكد يبدأ كما قال البعض. ولكن لوغان لم يبد أي عذر لذلك، تاركاً بعض الحضور من الرجال يستنتجون السبب بأنفسهم، تشهد على ذلك ابتساماتهم الخفيفة ذات المعنى، ولو أنه كان بامكان كارين أن تنطق بشيء، في ظرفها ذاك لأخبرتهم أن استنتاجاتهم تلك إنما هي خاطئة لأنها بعد العرض الذي صدر عن لوغان ومارغوت في حلبة الرقص لن تتجاوب مطلقاً مع رغبات لوغان بعد الآن.

وكان الصمت يسيطر على رحلتهما إلى المنزل، وذلك من كلا الجانبين، وكالعادة تركها لوغان لتدخل إلى المنزل بينما تابع هو إدخال السيارة في المرآب.

كانت السيدة لاوسون قد تركت النور مضاءً في القاعة وغرفة المكتبة. وافترضت كارين أن السبب في ذلك بالنسبة للمكتبة هو أن لوغان قد يخطر بباله أن يجلس قليلاً قبل النوم. وساورتها رغبة مفاجئة في أن تريه أن ما زال بامكانها التصرف حسب ما تشاء فدخلت إليها ووقفت بشكل جعلها مستعدة للمعركة.

وعندما دخل لوغان غرفة المكتبة، كانت هي تقف هناك. وسألها بوحشية: «أية أفكار جعلتك تقومين بهذا العمل، أيتها الصغيرة الحمقاء؟»

فأجابت بكل صراحة ووضوح: «أسعى وراء السلوان، أليس هذا ما تقوم به الزوجات المخدوعات؟» ولم تنتظر جواباً منه وهي تواجهه بعينين تلتهبان بالكراهية بينما تتابع قائلة: «إياك أن تحاول الانكار. لقد رأيتك تماماً أثناء الرقص هذه الليلة.»

فأجاب متوتراً: «لا تلوميني. إن من الصعب جداً إنهاء رقصة مع امرأة، بالرغم منها، وذلك دون التسبب بضرر معنوي في المكان.»

فأجابت رافضة أيّ اقتناع: «هذه قصة محتملة، ولكنك أنت الذي تقدمت طالباً الرقص معها، وليس العكس.»

فقال: «ولكنني رقصت مع النساء الأخريات الموجودات حول المائدة، إذا كنت تذكرين، وهذا يسمّى آداباً اجتماعية. ولهذا السبب لم أقل شيئاً عن قبولك دعوة تود غارفيلد للرقص.»

ورغبة منها في جعله يغلي من الغيرة، كما هو الحال معها، تخلت عن كل نوع من الحذر لتقول له بابتسامة حاقدة: «آه، بالطبع، لقد كنت مثلك أنت، أستمتع بكل لحظة من ذلك.»

وكان التعبير الذي بدا على وجهه، عند ذاك كدفقة ماء مثلج فوقها، رغم أن برودته لم تكن كافية لكي يمحو تأثير التوتر الذي أشعرها بالمرض، فرفعت يدها إلى فمها تمنع نفسها من التقيؤ وهي تئن كرباً، وتقول: «إنني أشعر بالغثيان.»

وسمعت لوغان يشتم، ثم ينحني ليحملها. وأغمضت كارين عينيها وهي ترى الغرفة تدور حولها، وأبقتهما مغمضتين وهو يخرج بها من الغرفة.

وحملها صاعداً بها إلى غرفتها، حيث سجّاها على السرير برقة بالغة كانت تعلم أنها لا تستحقها. كانت ما تزال تشعر بالدوار والغثيان، ولم تجد من نفسها الإرادة ولا القوة للقيام بأي نوع من الاعتذار أو المصالحة، بل بقيت

مستلقية تغطي عينيها بيدها تنتظر أن تكف الغرفة عن الدوران.

وقال لوغان بهدوء: «سأتركك لكي تتخلصي من كل هذا بالنوم.» ثم ترك الغرفة.

وفي النهاية استطاعت النوم، رغم أنها كانت أحياناً توشك أن تهرع إلى الحمام. وعندما استيقظت عند الصباح وهي بكامل ملابسها، انتابها الهلع، ولكن ليس بقدر الألم الصاعق الذي شعرت به بين عينيها عندما حاولت رفع رأسها عن الوسادة.

وعادت تسقط مستلقية على ظهرها وهي تئن من الألم. إذا كان هذا هو عقابها، فإنها لن تعود إلى ذلك مرة أخرى أبداً. كيف بامكان الناس أن يتحملوا كل هذه السهرات مرة بعد مرة؟

لقد تصرفت الليلة الماضية بحماقة. ومهما كان شعورها نحو ما حدث، فذلك لا يعطيها عذراً لهذا النوع من التصرف. كان عليها أن تواجه لوغان بالأمر بهدوء واتزان، وتخبره أن كل هذا يجب أن يتوقف، وربما كان هذا سيدعوه إلى احترامها.

ولكنها كانت تعلم أنها إنما تستغفل نفسها، إذ مهما كان نوع تصرفها فإن لوغان لن ينظر إليها أبداً إلا كعروس صغيرة السن أرغمته الظروف على الزواج منها.

وعندما فتح الباب، عادت ترفع رأسها لتشعر بطعنة جديدة من الألم. وتقدم منها لوغان يحمل في يده كوباً تتصاعد الرغوة من شيء في داخله. وكان يرتدي ملابس الركوب الكاملة إلى جاكتة صوفية خفيفة.

وقال: «إذا كنت تشعرين بأي شيء، فستكونين بحاجة إلى هذا. حاولي أن تجلسي قليلاً وإلا دلقته على نفسك.»

ورفعت كارين نفسها على مرفقيها، مجفلة وهي تشعر بالألم في صدغيها يزداد.

وسألته وهي تتناول الكوب من يده: «ما هذا؟»

فأجاب: «هذا لا يهم. فقط اشربي. وتأثيره لن يكون فورياً، ولكنك ستبدأين بالشعور بالتحسن بعد فترة. وفي نفس الوقت من الأفضل أن تبقي حيث أنت.»

وكانت الرغوة الآن قد استقرت، كان طعمها يضرب إلى الملوحة ولكنه ليس كريهاً. وشربت كارين محتويات الكوب، ثم أعادته إليه وهي تشعر بالسرور إذ تعود إلى الارتماء بين الوسائد مرة أخرى.

وسألته: «كم الساعة الآن؟»

فأجاب: «بعد السابعة والنصف مباشرة، إنني ذاهب للركوب، ولكنني سأعود للافطار.»

وشعرت بالغثيان لمجرد التفكير في الطعام وقالت بخجل وهي تتجنب النظر في عينيه: «أين رقدت الليلة الماضية؟»

فلاحت على شفتيه ابتسامة سرعان ما تلاشت وهو يجيب: «ليس هناك نقص في غرف النوم، وقد كان نومك قلقاً عندما دخلت الغرفة لارتداء ملابسي، فتكهنت بأنك على أهبة الاستيقاظ. على كل حال، حاولي أن تعودي إلى النوم مرة أخرى، وستشعرين بالتحسن.»

وعندما استدار للخروج، جاء صوتها خشناً وهي تناديه: «لوغان.»

فأدار رأسه ينظر إليها وهو يجيب: «نعم؟»

«إنني آسفة. لقد قمت بعمل أحمق ليلة أمس.»

فأجاب: «نعم، لقد كان كذلك. ولكنه قد يكون منعني من القيام بعمل قد أندم عليه. إنك لست الشخص الوحيد الذي قد يغيب عن باله أحياناً الهدف الرئيسي.»

وقالت: «هل من الممكن أن ننسى هذا؟»

ورأت حاجبه يرتفع وهو يسألها قائلاً: «كل شيء؟»

وفكرت هي في أنه يعني مارغوت طبعاً. وهي غير مستعدة لهذا حتى ولو كان ذلك لأجل مصلحة هيلين. وإذا أراد لهذا الزواج أن يستمر فإن عليه أن يقاطع مارغوت إلى الأبد.

وعندما لم تجب، لوى شفتيه قائلاً: «أظن أن علينا أن نتبادل حديثاً صريحاً طويلاً، ولكن ليس الآن بالطبع فإذا شئت ذهبنا لزيارة والديك بعد الغداء.»

وقبل أن تجيب، كان هو قد توارى، مغلقاً الباب خلفه بهدوء.

وبعد حوالي العشر دقائق ابتدأ الصداع يخف، وبعد ذلك بربع ساعة استطاعت أن تتمالك قواها فنزلت من السرير، وبدت في المرآة شاحبة اللون غائرة العينين شعثاء الشعر. ودخلت الحمام وجسدها يهتز لتقف تحت شلال المياه الدافئة إلى أن شعرت بقواها تعود إليها.

خرجت من الحمام وأخذت تجفف شعرها، شاعرة بالارتياح لطراز شعرها السهل الذي لا يفقد شكله بالغسيل. ومنح الصباغ الأحمر على شفتيها لوناً لوجهها هو في أشدّ الحاجة إليه. وبعد أن ارتدت بنطلون جينز وقميصاً مقفولاً، عادت طبيعية المنظر تقريباً.

عندما نزلت، كانت الأم وابنها قد سبقاها إلى المائدة. ولم تلاحظ شيئاً سوى مبالغة من الأم في السؤال عن صحتها، وهي تضيف قائلة: «كان من الممكن أن تتناولي فطورك في الفراش، فليس ثمة أجمل من الفطور في السرير بعد ليلة متأخرة.»

واغتصبت كارين ابتسامة وهي تتجنب النظر إلى لوغان. وهي تجيب: «إن لدى السيدة لاوسون من المشاغل بحيث لا أحب أن أجعلها تقوم بخدمتي.»

فضحكت هيلين وهي تجيب: «لقد كنت أفكر أن يقوم زوجك بذلك الشرف. وسيكون لوغان مسروراً بذلك، أليس كذلك يا لوغان.» ورمقت ابنها وهي تسأله ذلك، بمكر ضاحك.

وأجاب بجفاء: «تماماً.»

وجلست كارين تصب لنفسها القهوة وتتناول فطورها. كانت ما تزال فاقدة الشهية، خاصة بالنسبة للقهوة. ولكن عليها أن لا تدع الأم تلاحظ شيئاً من ذلك، ويكفي أن لوغان يعلم.

وأمضت الصباح على الشرفة أمام الباب الأمامي برفقة حماتها، بينما ذهب لوغان إلى الاصطبلات.

وقالت لها حماتها تنصحها: «عليك أن تخبريه عندما تشعرين بأنه يهملك. إنني أعلم حرصه على تنظيم الأمور، ولكن هناك حدوداً للعمل أيام العطل الاسبوعية.» وأمعنت النظر في الوجه الفتيّ أمامها وكأنها تزن ما ستقول، ثم استطردت: «بصفتك لم تتعاملي مع الخيل من قبل، ربما يضايقك أحياناً شدة اهتمامه بها.»

فقالت تؤكد لها من قلبها: «ليس الآن بعد أن ابتدأت أتعلّم الركوب. ولا مانع لديّ من أن أعمل في الاصطبلات بنفسي أحياناً، ولو أنني لا أظن أن هذه الفكرة ستعجب لوغان.»

فأجابت المرأة: «بالعكس، أظنه سيكون مسروراً جداً عندما يعلم بشعورك هذا. واصطبل بلو ريفر ما زال بحاجة إلى أيادٍ عاملة عديدة، ولكن بطبيعة الحال سيتدخل رأس مال وافر في ذلك بعد بيع أملاك وايت غيتز.»

فلم تستطع كارين أن تمنع الأسى في لهجتها وهي تقول: «لا تقولي هذا. فأنا لا أستطيع سماع شيء بهذا الشأن.»

فقالت هيلين تطمئنها بلهجة واقعية: «ستعتادين على هذا الأمر مثلي أنا. لا تمنعيني من التحدث عن مستقبلكما، فقط لأنني لن أكون موجودة. ورؤيتي للوغان متزوجاً يعني الكثير بالنسبة إليّ، وقد كانت تمرّ عليّ أوقات كنت أظن أنه لن يعثر قط على المرأة المناسبة. ولكن هذا حدث في النهاية.»

وحلّ موعد الغداء وانتهى. وانتظر لوغان صعود والدته إلى غرفتها، ليعود فيقترح على كارين أن يخرجا لزيارة والديها. ومع شوقها لرؤيتهما فقد خافت أن يلاحظا شيئاً. ولكنها وافقت، فقد ينتهي بذلك النهار بسرعة.

وعندما خرجا، كان المطر ينهمر، ذلك المطر الصيفي الخفيف الذي لا يكاد يبلل السطوح، ولكنه كان كافياً لكي ينظف الشواطىء ممن يمضون عطلتهم الاسبوعية.

وقالت كارين وهما يستديران بالسيارة، ليخرجا إلى الطريق العام: «لقد كان الجوّ يبدو وكأنه استقر نهائياً بقية الصيف، فإذا استمر الآن بهذا الشكل فلن يبقى في مدينة بارستون صيف لكي ينتهي.»

فأجاب لوغان: «إذا كانت بارستون تريد أن تدخل المنافسة في سوق السياحة، فهذا يحتاج إلى إعادة بناء هيكلها. وهذا يمكن أن يحدث دون هدم الأمكنة بشرط الانتباه والعناية، وإقامة مركز لقضاء الاجازات يحوي كل التسهيلات ليوم ماطر مثل هذا اليوم. لقد سبق ورأيت مراكز من هذا النوع يحوي أحواضاً للسباحة لا يمكنك أن تصدقي أنها مبنية ضمن جدران.»

فسألته: «أين تبنى مثل هذه المراكز وكم تكلف؟»

«هذه ليست مشكلتي أنا، كما أنها ليست مشكلتك أيضاً. فقد لا نكون هنا مثل هذا الوقت من السنة القادمة.»

فقالت بصوت أجش: «ذلك بالنسبة إليك أنت.»

«هل تحاولين أن تخبريني بشيء؟»

فأجابت: «أريد فقط أن أقول إن الخطأ يمكن تصحيحه. فعندما أمك...» وترددت وقد شعرت بغصة مؤلمة في حلقها. «عند ذلك لا يتوجب علينا أن نستمر بهذا الزواج.»

فقال: «أتعنين أن علينا أن نباشر اجراءات الطلاق بعد دقيقة من رحيل والدتي؟ أهذا ما تريدين؟»

فأجابت: «ربما كان هذا هو الأفضل.»

فسألها: «الأفضل لمن؟ لا أذكر أنني قد ألمحت مرة إلى عدم رضائي. فلندع هذا الموضوع الآن جانباً.»

ولم تكن هي قد قصدت إثارة هذا الموضوع. فقد انطلقت الكلمات من تلقاء نفسها، فهي لم تكن تريد الطلاق، ولكن بدا لها أن ما تريده حقاً لن يتحقق على الأغلب. إذ كيف تمضي بقية حياتها مع رجل لا يحبها؟

وتملكت الدهشة والديها لرؤيتهما وإن لم يخفيا

سرورهما لمجيئهما هما الاثنين معاً. ورحبا بلوغان إلى درجة أثلجت قلب كارين. وجلس هو مسترخياً ببساطة يبتسم لها وكأن لا شيء قد حدث بينهما. وكانت هي التي وجدت صعوبة في إخفاء مشاعرها ما جعل أمها تلاحظ ذلك، لكي تسألها في أول فرصة انفردت فيها بها في المطبخ: «هل هنالك شيء بينكما؟ فأنا أراك هادئة جداً.»

فأجابت: «إنني متعبة قليلاً فقط، فقد ذهبنا الليلة الماضية إلى النادي الريفي حيث كانت هناك حفلة عشاء راقصة.»

«لا أظن أن حفلة كهذه يمكن أن تكون مرهقة إلى هذا الحد.» وبدا على الأم انها غير مقتنعة بهذه الحجة. واستطردت تقول: «أظنك تحضرين الكثير من المناسبات الاجتماعية.»

فأجابت كارين: «ليس الكثير.» وأرادت تغيير الموضوع فقالت: «لقد التحقت بالفرقة التمثيلية برايور بلايزر في نورويتش وأنا أتعلم ركوب الخيل. فالحياة مليئة حولي.»

فسألتها أمها: «وكيف حال هيلين؟»

«إنها على حالها. وسنخرج جميعاً للعشاء غداً لِمَ لا تأتين أنت أيضاً؟ إنها ستكون في غاية السرور لرؤيتك.»

فترددت الأم لحظة ما لبثت بعدها أن هزت رأسها قائلة: «ربما في وقت آخر.»

وسكتت كارين، إذ لم يكن ثمة فائدة من إقامة علاقة بين المرأتين دون حماس متبادل منهما هما الاثنتين. كما أنها لم تكن متأكدة من ردة الفعل لدى حماتها.

وودعا خارجين الساعة الرابعة لكي يكونا في المنزل في موعد تناول الشاي.

وقال لوغان يحدثها وهما خارجان: «لقد أحببت والديك. وربما مع الوقت، يغفران لي تجاوزي ذاك.» وعندما لم تجب كارين، رمقها بنظرة، وهو يستطرد قائلاً: «على فكرة، فأنا سألتحق بالفرقة التمثيلية، إن دنكان ماهر جداً في الاقناع.»

فأجابت بعنف: «وأظنه ماهراً أيضاً في نقل الحكايات.»

فقال بلهجة أقرب إلى المزاح منها إلى الغضب: «وهل هناك حكايات لينقلها؟ إنني لم أطلب من دنكان أن يراقبك، إذا كان هذا ما تظنين، كلا ولا هو السبب في رغبتي بالالتحاق بالفرقة. ذلك أنك عرضت أن تشاركيني اهتماماتي بالخيل، فأنا إنما أردّ لك هذه المجاملة ليس إلا.»

وسكت لوغان، واعتبرت أن لا شيء بعد هذا، يمكن أن يقال. وفكرت في الاستقالة من الفرقة ولكن ذلك سيكون بمثابة من يقطع أنفه لينتقم من وجهه كما يقول المثل، فهو على الأقل عندما يحضر التجارب لن يكون مجتمعاً مع مارغوت.

وبدا السرور واضحاً على هيلين عندما رأتهما عائدين معاً، مع أنها كانت نزلت من غرفتها منذ نصف ساعة فقط كما قالت بنفسها، وهذا ما يجعلها بعيدة عن الشعور بالوحدة. ولاحظت كارين أن مرد راحتها تزداد قليلاً كل يوم وذلك من إعادة النظر إلى أيام الاسبوع الماضي. وسيأتي اليوم الذي يصبح الارهاق الذي تشعر به حماتها مستمراً. وربما كانت هيلين قد قبلت ما لا مناص من قبوله، ولكن كارين تشك في أنها في الأعماق، قد تقبّلت ذلك حقاً. وكان الأمر يدعو حقاً للأسى العميق.

ولم يمكث لوغان طويلاً على مائدة الشاي، معلناً أنه سينزل إلى الاصطبلات. وكان المطر قد توقف منذ أكثر من ساعة، مع أن السحب كانت ما تزال تنذر بالمزيد. فإذا كان لوغان قد قرّر أن يعود إلى الركوب مرة أخرى، فإن هذا هو الوقت المناسب، كما افترضت كارين وتمنت لو أنه يطلب منها الذهاب معه. وبدا لها فجأة أن ذلك الحديث الطويل الصريح يجب أن يحدث بسرعة.

وعند الساعة السابعة، وكان هو لم يعد بعد، ابتدأت تتساءل عما إذا كان ينوي قضاء المساء بأكمله خارج المنزل. حتى هيلين نفسها أبدت ملاحظة عدم رضى عن قلة الذوق عند ابنها، قائلة ان عمله هذا ليس له مبرّر أبداً.

وعندما جاء دنكان إلى المنزل بعد ذلك بدقائق، علمت المرأتان من نظرة واحدة إلى ملامحه أن هذه لم تكن زيارة عادية.

وقال: «يؤسفني أن أقول إن لوغان قد وقع له حادث. وقد نقل إلى نورويتش. إنه على قيد الحياة، ولكنه غائب عن الوعي. فقد أصيب برأسه. وصادف أنني كنت أسوق سيارتي على ساحل البحر خلف السيارة التي صدمته. لم يكن الخطأ خطأ لوغان، فقد كان السائق الأحمق مسرعاً. على كل حال فقد أخبرت الشرطة بأنني سأحضر لآخذكما إلى المستشفى بنفسي.»

وتحركت كارين وقد منعتها الصدمة من أن تشعر تماماً بما حدث، فقالت لحماتها: «هل أحضر إليك معطفك، يا هيلين؟»

فأجابت هذه باتزان: «اذهبي أنت مع دنكان وسأنتظر أنا هنا. واتصلي بي حالما تعلمين بحالته.»

ولم تناقشها كارين. وخرجت مع دنكان إلى سيارته، حيث بقيت صامتة طيلة الرحلة، وقد شابه امتقاع وجهها بياض الثلج.

وحال وصولهما إلى المستشفى، توجه بالسيارة رأساً إلى قسم الطوارىء ومن ثم توجها إلى مكتب الاستقبال، حيث علما أن مريضهما هو حالياً في قسم التصوير بالأشعة.

وقال لها موظف الاستقبال: «من الأفضل أن تجلسي إلى أن يستطيع الجراح أن يراك.»

وكان انتظارها طويلاً أو هكذا خيّل لها حين ابتدأ الألم المبرّح يمسك بخناقها.

وسمعت صوتاً يقول: «السيدة بانيستر؟» وكان الرجل الذي يشرف عليها بقامته، يرتدي معطفاً أبيض وهو يقول لها مطمئناً: «يسعدني أن أخبرك أن زوجك أصيب بارتجاج خفيف في المخ فقط دون كسر. والأفضل أن يبيت هنا الليلة تحت المراقبة، إذا كان بامكانك إقناعه بذلك، ولكن ما حدث له لن ينتج عنه أية خطورة.»

قالت بامتنان عميق: «اشكرك. هل استطيع رؤيته؟»

فأجاب: «بالطبع. إنه في السرير رقم ثلاثة.»

فقال دنكان: «سأتصل بهيلين هاتفياً، لأطمئنها، فاذهبي أنت إليه.»

وكانت الستائر تحيط بالسرير رقم ثلاثة حيث أرتها ممرضة الطريق إليه. ووقفت كارين لحظة تحدق في ذلك الرجل الذي كان مستلقياً على سرير الفحص، تتأمل الجرح الدامي في صدغه وامتقاع وجهه.

وقال بهدوء: «مرحباً.»

بدت على شفتيها ابتسامة مرتجفة وهي تقول بصوت غير ثابت: «هل أنت بخير؟»

فتقلص فكه وهو يجيب: «ان الحصان بالانتين هو الذي تلقى الضربة. لقد قتل على الفور.»

فقالت: «وكيف علمت بذلك وأنت غائب عن الوعي.»

فأجاب: «لقد كنت مذهولاً، وليس غائباً تماماً عن الوعي. فقط لو استطيع الامساك بذلك السائق...»

«ما الذي حدث بالضبط؟ لقد سمعنا أن سيارة صدمتك.»

فأجاب: «هذا ما حدث. وكنت قد خرجت لتوي من الطريق المؤدي إلى الشاطىء، عندما...» وسكت وقد أجفل لا إرادياً، ثم هز رأسه وهو يقول: «لا فائدة من الاتيان على هذه السيرة. فتشي عن حذائي لنخرج من هنا.»

«انهم يريدونك أن تمضي الليلة هنا. للمراقبة فقط.»

فقال بلهجة لا تحتمل الجدل: «لا سبيل إلى ذلك. إنني بخير. هل لك أن تخبريهم أنني أريد حذائي؟»

«إنه هنا.» والتقطته من حيث كان عند نهاية السرير، وأحضرته إليه وهي تدرك عدم جدوى أي مزيد من الاحتجاج.

وقالت: «ان دنكان في الخارج.» وأخذت تنظر إليه وهو ينتعل حذاء الركوب المخدش الموحل هذا، والذي كان ثمة مزق في أعلى فردة منه. وهي تتابع قائلة: «كان هو في ذلك المكان عندما وقع الحادث، وهكذا تطوع بالقدوم إلينا لاخبارنا بدلاً من ترك الشرطة تقوم بهذه المهمة. كما أنه اتصل الآن بأمك يطمئنها.»

فقال: «هذا جميل. سنستقل سيارة أجرة للعودة لنوفر عليه رحلة أخرى.»

وقال الجراح المناوب وهو يدخل لرؤيته، وقد سمع آخر الحديث: «أظنك لن تمكث هنا هذه الليلة؟»

فأجاب لوغان: «وفروا الأسرة لأولئك الذين يحتاجونها اكثر مني. إن كل ما احتاجه هو قرص أسبرين أو اثنتين. اشكركم. على كل حال، لكل عنايتكم واهتمامكم. ما كنت لأرضى بأن أكون مكانك مهما دفعوا لي.»

«احياناً يراودني انا نفسي، هذا الشعور. إذا عدت فشعرت بالدوار، فاتصل بالطبيب في قسم الطوارىء.»

«سأفعل ذلك.» والتفت إلى كارين قائلاً بحيوية: «فلنخرج.»

وبدت على دنكان الدهشة وهو يراهما خارجين معاً، وبدا عليه السخط لدى سماعه لوغان يذكر سيارة الأجرة، فقال: «هذا غير مناسب سآخذكما أنا بنفسي طبعاً.»

فقال لوغان مصراً: «لقد قمت نحونا بما فيه الكفاية وأكثر. والساعة الآن التاسعة تقريباً. وستتساءل مارغوت عما قد يكون جرى لك.»

«ان مارغوت ليست في المنزل، وأنا حر بوقتي.»

وهنا تدخلت كارين، لتقول: «إذا كان دنكان يريد أن ينقلنا إلى البيت فهذه هي الطريقة الأنسب لذلك.»

أجاب لوغان: «أهذا هو الأفضل في رأيك؟»

فأجابت وقد انساها الغضب وجود دنكان: «نعم. إنه كذلك. إنك تبالغ احياناً في الاعتداد برأيك كرجل. فإذا اعتبر الجراح أن الصدمة التي اصابتك في رأسك ما يستوجب الاهتمام والعودة إلى المنزل بسرعة للراحة، إذن، كلما اسرعت بالعودة إلى المنزل، كان ذلك افضل وقد لا نعثر على سيارة أجرة إلا بعد وقت طويل.»

قال دنكان: «ان الحق معها تماماً. فليس أمامك خيار.»

فأجاب لوغان: «يبدو هذا، فلنذهب إذن.»

ونزلت كارين مع لوغان الدرجات القليلة بينما كان دنكان يحضر السيارة إلى امام الباب.

ووضع لوغان ذراعه حول كتفيها وهو يقول: «انك ترتجفين كورقة الشجرة، لِمَ هذا يا كارين؟»

فسألته بصوت خشن: «وما الذي تظنه أنت؟ كان ممكناً أن أجدك ميتاً لدى وصولي.»

«ولكنني لم أكن ميتاً. إنه فقط ارتجاج بسيط في المخ.»

فقالت: «وهذا لم يستدع أي اهتمام منك.»

«ولو أنني فعلت هذا، فهل كان سيزيد من سعادتك؟»

فأجابت: «كلا، لأنك لا تنوي ذلك. إنك لن تهتم بالاتصال بطبيب الطوارىء إلا إذا كنت على شفا الانهيار.»

وكانا الآن واقفين في الخارج. وأشار إليهما دنكان بالبقاء حيث هما وهو يتجه إلى موقف السيارات العام لاحضار سيارته. وظلت عينا كارين مركزتين على لوغان وقد امتلأ قلبها بما تريد أن تقول. واشتدت ذراعه حول كتفيها. وهو يقول برقة: «لم اكن أدرك مبلغ اهتمامك. إنني بخير يا عزيزتي. صدقيني. وسأثبت لك هذا في البيت.»

فقالت: «هل ذلك سيكون بطريقتك المعلومة تلك؟ أتظن أن هذا هو الشيء الوحيد الذي يهمني؟»

«اعتقد أن هذا يعني الكثير بالنسبة إليك. نعم. لا شيء خطأ في هذا. فهو يعني الكثير بالنسبة إليّ أنا أيضاً. وأنت تعنين الكثير بالنسبة إليّ.»

فقالت: «من الطبيعي أن اعني لك ذلك. فقد تمكنت بواسطتي من تنفيذ شرط وصية والدك.»

فقال: «ربما كان هذا هو السبب الرئيسي الذي جعلني اتزوجك، ولكنه ليس السبب الوحيد.»

فأجابت: «اعرف هذا والمفروض أن أشكر حظي لأني حصلت أنا على هذا إذ ليس الذنب ذنبك إذا كانت هناك أمور اخرى تنقصني.»

سألها بهدوء: «وما هي تلك الأمور؟»

فأجابت: «اولاً، النضج. فأنت بحاجة إلى من هي أقرب إلى مستواك في ذلك، إلى من يمكنك اعتبارها رفيقة حقيقية وليست مجرد فتاة تثير اعصابك.»

فقال يسألها: «أبهذا الشكل ترين نفسك؟»

فأجابت: «هذا هو الشكل الذي جعلتك تراني فيه. فأنا لم اتصرف كامرأة ناضجة منذ أن عرفت بأمر الوصية.»

فقال: «لقد تصرفت بشكل افضل مما كنت اتوقعه منك في هذه الظروف. لقد كان ينبغي أن اكون صادقاً معك منذ البداية على كل حال، سنكمل حديثنا عندما نصل إلى البيت. فمازال عندنا الكثير لنقوله.» قال ذلك وهو يرى دنكان يصل بالسيارة إليهما وبعد ان اجلسها لوغان في المقعد الخلفي توقعت منه أن يجلس بجانب دنكان، ولكنه بدلاً من ذلك جلس بجانبها وقد عادت ذراعه تحيط بكتفيها. وفكرت في أنه كان لا بد ان يعلم بما شعرت به نحوه، لكي يتصرف بمثل هذه الرقة والكياسة.

وبدت الرحلة أطول من العادة. والأحاديث القليلة التي دارت بينهم جاءت من دنكان. وعندما وصلوا إلى المنزل،

امتنع من الدخول معهما وهو يقول: «ان كل شيء بالنسبة إليك، على مايرام. سأراكما انتما الاثنين يوم الاربعاء القادم. فما جرى لا يعطيك فرصة للتملص من الذهاب يا لوغان.» ولوح لهما بيده وهو يبتعد.

وكانت هيلين في غرفة الاستقبال. ولم يمنع سرورها برؤيته، اهتمامها البالغ بما حدث له، وقالت توٴنبه بعنف: «كان عليك أن تستمع إلى نصيحة الجراح بالمبيت هذه الليلة في المستشفى. فالانسان لا يعرف ما الذي قد ينتج عن اصابة في الرأس.»

فأجابها: «انني بخير. وسأذهب إلى النوم باكراً.» ونظر إلى كارين باسماً وهو يتابع: «نحن الاثنين سننام باكراً.»

فاعترضت أمه قائلة باستنكار: «يجب ان ترتاح.»

فأجابت كارين: «إنه سيرتاح، وغداً أيضاً.»

فقال مراوغاً: «سنرى ما يأتي به الغد.» وتكلفت كارين بعض المرح وهما يصعدان إلى غرفتهما، متسائلة عما كان يمكن أن يحدث. فعدا عن ثلاث قطب في صدغه، وبعض الرضوض، فقد نجا سالماً من حادث كان يمكن أن يقتله كما قتل حصانه.

قالت له: «أظن من الأفضل أن تتوجه إلى السرير مباشرة. وليلة مريحة تنام فيها ملء جفنيك ستفيدك تماماً.»

قال بعد برهة بصوت خشن: «لقد وقعت في غرامك منذ أول لحظة وقعت فيها عيناي عليك منذ عامين، وقد حاولت أن أبقى بعد ذلك، بعيداً عنك ولكنني لم استطع. وهكذا كان ما فعلته معك شيئاً معيباً.»

فقالت كارين مستنكرة: «كلا. إنه لم يكن كذلك. بل بالعكس، كان شيئاً رائعاً. في وقته على الأقل. لقد ابغضتك

طوال سنتين كاملتين، ولكنني نسيت هذا حالما وقع بصري عليك مرة أخرى. لم يكن ذلك بإرادتي فقد كنت أنت الرجل الوحيد، ومازلت، الذي شعرت بالرغبة في أن اكون معه.»

فقال: «لقد ظننت أنني استطعت أن انساك إلى أن قابلتك على الشاطىء في أول ليلة من عودتي، فأدركت عند ذاك، أنني انما كنت أخدع نفسي، فقد كنت في دمي. وأردت ان احتفظ بك هناك. وكان ذلك الشرط الذي وضعه أبي في الوصية، هو العذر الذي كنت بحاجة إليه.»

فقالت برقة: «ولكنك لم تكن تحبني في ذلك الحين.»

أجاب: «ربما لم أدرك ذلك في حينه. ولكنه كان موجوداً بالتأكيد. ومع أنني كنت مقتنعاً بأن شعورك نحوي كان مجرد نزوة طائشة، فقد كنت لا أطيق التفكير في أن رجلاً آخر قد يحاول معك حتى ولو لمسة... ومن هنا كانت ردة الفعل لدي عنيفة وأنا اراك قادمة من الشرفة، ليلة الحفلة تلك، وتود غارفيلد في أثرك وقد بدا عليه الاعتداد والزهو بنفسه. وكذلك مساء الاربعاء الماضي عندما تأخرت في العودة من حيث كنت مع الفرقة التمثيلية...»

فقالت تقاطعه: «وبتصرفي ذاك، جعلت أنا الأمر اكثر سوءاً... لقد كان لديك كل الحق في أن تغضب. فقد تصرفت أنا كطفلة حمقاء تماماً. وبحماقتي تلك أفسدت ليلة زفافنا.»

فقال: «لم تكن تلك حماقة. لقد كان عليك ان تجعليني أتألم قليلاً وكنت ناوياً اخبارك عن الوصية يوماً ما، ولكنني انتظرت أن يحدث بيننا من التقارب بحيث ترين الأمر بأبعاده الصحيحة ولم يخطر ببالي ان مارغوت ربما كانت تعلم بذلك.»

فقالت كارين برقة: «احقاً أنه لم يكن في نيتك أن تتزوجها لو لم تسافر إلى اوستراليا؟»

فأجاب: «مطلقاً... بما أننا نتصارح الآن في كل الأمور، فأنا اعترف بأنني لم أكن عادلاً معك أيضاً بالنسبة لاجتماعي ذاك بمارغوت في تيتفورد. لقد طلبت رؤيتي لأنها، كما قالت بحاجة إلى انسان تستشيره في أمر مهم. فذهبت لشعوري بأن هذا شيء بسيط عليّ القيام به بالنسبة لصداقتنا القديمة، وباختصار، عرضت عليّ أمراً رفضته تماماً، وجعلتها تفهم ذلك. ولكن هذا لم يجعلها تمتنع عن الايقاع بيننا، كما حدث الليلة الماضية.»

«إنها جميلة جداً. ولا أظنها تعودت أن يرفض لها طلب.»

فأجاب دون اهتمام: «كل شيء له بداية. والآن، عليك أن تنسي موضوع مارغوت. فهي لا تماثل ظفرك. وكان من الخطأ مني أن استغل شعورك نحوي بهذا الشكل، ولكنني غير نادم على ذلك. فأنا أحبك يا عزيزتي، أحبك اكثر مما تستطيعين أن تتصوري.» .

فقالت: «وأنا كذلك.»

فقال: «ليس بمقدار حبي لك. ولكنني سأحاول أن اجعلك تحبينني بهذا المقدار.»

تمـــــت